

خالد محمد خالد

الرفاه والسول



كل الحقوق
محفوظة

Copyright
All rights reserved

المقطم
للنشر والتوزيع

القاهرة - مصر
٥٠ شارع الشيخ رمضان - عابدين

Tel: (00202) 7958215-7946100

Fax: (00202) 5082233

Email:
elmokutam@hotmail.com

رقم الإيداع ١٩٩٦/٥٢١٨

التقييم الدولي I.S.B.N.

977-02-5732-6

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةٌ

في عام ١٩٨٥ للميلاد رغب المستولون عن مجلة "الحرس الوطني" السعودية في أن أكتب لهم مقالاً دورياً، واستجبتُ لرغبتهم الكريمة، وبدأتُ أكتب..

ولم يأخذني تفكير طويل في الموضوع الذي سيستأثر بكتابتي وبقلمي.

ذلك أنه كان ثمة موضوع ينادي في إلحاح، وأنا أتمناه في شوق.

كان الموضوع عبارة عن تقديم الإسلام - كما أفهمه - إلى عالمنا المعاصر، لعله يجد من أمره رشداً، ولعله حين يقرأ هذه الكلمات يجد فيها ما وجده أبائوه السالفون في غيرها من نور هذا الدين وحكمته.

واخترتُ العنوان الذي أبث فيه فكري تبعاً، وكان:

"الإسلام ينادي البشر"

وكتبت بضع مقالات وأنا بها سعيد، حتى أدركتني - فجأة - بداية مرض طويل، فرحتُ أحاول واستنجد ببقايا صحتي وعافيتي، حتى جاءت الأيام التي كلُّ فيها متني، وتخلّى عني جهدي فاكتفيت بما كتبت للمجلة، ولجأت إلى الله الفتاح العليم، ألا يحرمني من إتمام نعمة هذا الكتاب، الذي تصورته وسيلة خلاص ناجعة لهذا العالم المتخبط والتعس.

وأخذ المرض لا أدرى أنول: "يُداعبني" أم "يشاغبني"، ولم يكن أمامي سوى الطمع في فضل الله وانتظار فرجه القريب..

وما كان للشوق الحميم أن يتركني للهدوء والتَّصَبُّر؛ فقد كان تفكيري كله في هذا الكتاب، ورغائبي كلها في أن أحمل قلمي مرة أخرى لأبث به ما يفتح الله من كلمات.

وجاء يوم يحمل إشراقة الأمل، وصحوة العمل، فمضيت مع الكتاب محاولاً قدر جهدي أن أمضي معه وفيه خطوات تشجعني على عزيمة السير والمتابعة..

كانت رغبتني في إتمامه مواكبة لإحساسي بقرب الرحيل..!

وكان همي كله أن أفرغ منه قبل أن أذعن فأجيب..

فرحت أغدُ الخطي، وأقنحم الصَّعب، ثمَّ جعل المرض يشتدُّ ويقوى، ولم يعد يبدو لي إمكان تأليف الكتاب كله.

وقبل أن يقيد الكسل واليأس خطاي، أشار عليَّ ابني محمد، ناشر هذا الكتاب، وصاحب دار المقطم للنشر والتوزيع، بأن أكتبه مُجزءاً، ويصل للقارئ في أجزاء، كما حدث في كتاب "رجال حول الرسول" ﷺ الذي أخرج في خمسة أجزاء، ثم لا يحمله القارئ اليوم إلا مجلداً واحداً، يتنظم الأجزاء الخمسة.

وتذكرت الحكمة القائلة: "ملا يُدرك كله لا يُترك كله.."

ومضيت أستأنف كتابة ما رأيت أن يكون الجزء الأول من الكتاب وهو الذي يحمله القارئ بين يديه..

ولكن إلى أي شيء ينادي الإسلام البشر؟

هذا طبعاً موضوع الكتاب، فهو ينادي البشر:

- إلى هذا الرسول
 - إلى هذا الكتاب "القرآن"
 - إلى هذا الدين
 - إلى هذه التجربة
- وفي هذه الصفحات يقدم الكتاب جزءه الأول

"الإسلام ينادى البشر"

إلى

"هذا الرسول"

وقد بنيت على بعض ما كنت قد كتبتته لمجلة "الحرس الوطني" وتتبع بقية ما لم يكن قد نُشِرَ من قبل، فجاء عملاً لما أردت أن أقوله عن نداء الإسلام ودعوته البشر ليلقوا هذا الرسول العظيم ﷺ.



خالد محمد خالد

القاهرة - ١٩٩٦



بين يدي الكتاب

فى رائعة النهار.. نهار يوم من أيام الحج الأكبر، نزل الوحي على قلب
الرسول ﷺ بآية الختام:

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي
وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾

'سورة المائدة: ٣'



كانت الآية الكريمة تسجيلا للعهد الختامى فى رحلة الرعى التى لبث
"جبريلها" الأمين عليه السلام، يغدو خلالها بين السماء والأرض على مدى
ثلاثة وعشرين عاما، حاملا نور الإسلام إلى الأرض.. وكلمة الله إلى الناس..
ومنهج الحق والهدى والخير إلى الحياة والأحياء!!

والآية، وإن تك تشجه بخطابها المباشر والقريب إلى عشرات الألوف من
المسلمين الحاقين يومئذ حول رسولهم العظيم، وإلى مثلهم من المسلمين الجدد
المبشرين يومئذ فى مناحى الجزيرة الواسعة المترامية، إلا أنها مع ذلك كانت
تجاوز كل تقويم الزمان والمكان لتنادى بخطابها المضاء بنور الله جميع الناس
العائشين على ظهر هذا الكوكب المعاصرين منهم يومذاك، والوافدين على الحياة
من بعدهم على مدى الأجيال التى ستستقبلها الأرض، ما أذن الله للأرض أن
تبقى وتقوم!!

ذلك أنها تنزلت على رسولٍ قدمته السماء للناس كافة.

﴿ قُلْ يَتَّيِّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾

"سورة الأعراف: ١٥٨"

واختاره الله واصطفاه، ليكون رحمته المهداة إلى البشرية كافة.

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾

"سورة الأنبياء: ١٠٧"

كذلك أعلنت الآية الكريمة اكتمال الدين الواحد، والذي كان دائماً واحداً.. منذ نوح وإبراهيم، وحتى موسى وعيسى ومحمد.. عليهم وعلى إخوانهم الأنبياء والمرسلين أفضل الصلاة وأزكى السلام.

ذلك الدين الذي اشتق اسمه من حقيقته..

فحقيقة الدين، إسلام القلب والوجه والسلوك لله رب العالمين.

وهكذا، وبهذه المثابة، كانت الأديان كلها بل قولوا كان الدين كله إسلاماً،

وكان الرسل كلهم مسلمين..!!

﴿ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ

الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾

"سورة الحج: ٧٨"

﴿ تَحْكُمُ بِمَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا ﴾

"سورة المائدة: ٤٤"

﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ

حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾

"سورة آل عمران: ٦٧"

نزلت الآية إذن تسجل اكتمال الحلقة الأخيرة من دين الله، وتُنهي البشر جميعاً أن الموثق الذي بين الله وبينهم قد بلغ الآن منتهاه وشارف غايته!! ومن اليوم ستطوى الصحف، وتحجب الأقلام، ويتوقف الوحي.. ويبدأ الذكاء الإنساني والإرادة الإنسانية اللذان أحسن الدين تدريبيهما عبر القرون.. يبدأان استئناف المسيرة في نور الوحي المذخور بين صفحات الكتاب المنزل: من صحف إبراهيم وموسى.. إلى الإنجيل فالقرآن.

ومن ثم، لم يكن الإعلام بختام النبوة والوحي حَجْراً على مستقبل الإنسان - بل كان إفساحاً لهذا المستقبل، ودعوة للذكاء الإنساني كي يحمل مسئوليته الكاملة تجاه الإنسان ومصيره، وتجاه الحياة وإربائها. مهتدين بهدى الله، ونور الحقيقة، وإلهام المعاصرة.. وهكذا يكون سيدنا "محمد" ﷺ وتكون رسالته رحمة للعالمين. وكما لم يكن الإسلام حَجْراً على ما بعده، فإنه كذلك لم يكن إلغاء لما قبله، ولا افتياتاً عليه.

﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾

"سورة الشورى: ١٣"

﴿ قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾

"سورة البقرة: ١٣٦"

لقد كان الإسلام التجربة الحية الثرية المهداة للبشرية في عصرها الجديد،
حاملة من التراث السابق كل جوهره الفريد... ومُضيئة للزمن القادم كل طريقه
المديد... من أجل ذلك، لم يكن من حقه فحسب... بل كان من تبعاته قبلاً... أن ينادى
البشر - جميع البشر - إلى نهجه ونجربته، وهُدايه.. وإلى رسوله، وقرآنه وسنانه!!

ولقد تحقق وعدُ الله لهذا الدين بشر رياحه ورفع لوائه، وحفظ كتابه...!!

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾

'سورة الحجر: ٩'

وهكذا عاش الإسلام ألف عام وأربعمئة عام، تعرّض خلالها لسيول طامية
وجارفة من المناورات والمؤامرات والمكائد والحروب، واستودع نرى الأرض في
أكثر جنباتها وأنظارها أعداداً مباركة وهائلة من شهدائه.. ثم لا يزداد إلا تألقاً
وتفوقاً ونماءً.

لم تغادر كلمة من قرآنه مكانها في مئات الملايين من المصاحف رغم كل
محاولات التحريف والبغى...!!

ولم تغيب شعاعة واحدة من شمس عقائده ومبادئه. رغم كل محاولات
الإطفاء والبهت...!!

بل ولّوا مُدبرين أمام زحفه، أولئك الشائتون والضاغنون عليه.. ولوا وهم
يحملون أوزارهم على ظهورهم ويحترقون خيبة الأمل ومرارة الإنفلاس...!!

أجل.. على الرغم من كل ما اقترفته قوى الشر والظلام ضد الإسلام في
قديم الزمان وحديثه، بقي لروحه شبابها النضير، ولبائنه توهجها. وبقي كيانه
الداخلي كله متفوقاً على كل محاولات الكيد والإحباط...!! وكم كانت رحمة الله
واسعة.. حتى يخصوصه - حين لم ينهزم هذا الدين العظيم أمام مكائدهم الجائحة.

فقى سورته ونقبت حضارته، ليأخذوا بأيدي شعوبهم وبلادهم من وهدة لظلام،
والاخطاط، واهمجية إلى مدينة ما كانوا يبالغيها سولا الإسلام وسوره ولولا
لإسلام وحضارته !!

ألا إنه إذا كان هذا الدين حقاً، لا وهمًا.

وإنه لكذلك.

وإذا كان ضرورة، لا ظاهرة

وإنه لكذلك..

وإذا كان دوره في هداية البشرية وقيادتها لم ينته، ولن ينتهي

أقول. إذا كان ذلك كذلك، فإن إصغاء البشر لندائهم وإيائهم وهُناهم يسهم،
يصير من أقدس تبعات رُشدتهم ومستوليات وجودهم ليس لأنه يتجاهل ما
سقه من مراحل الدين، ولا من سقه من المرسلين. بل لأنه -دون بقية لأدين- يمثل
الكلمة الخاتمة والجامعة لتوجيهات السماء، ويمثل الخلاصة المركزة للتحريه الدينية
التي بدأت مع أول نبي ورسول إلى أن أتم الله سوره وبورها مع آخر نبي ورسول.

ولإسلام بحكم كونه حاتم الأديان قد استبقى منها، واصطحب معها كس
جوهرها الفريد، ومضمونها العميم كما أنه بهذه المثابة يؤكد جميع الرسالات،
وجميع المرسلين في الإيمان بها وبهم.

﴿ ءَامِنَ الرُّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ۚ وَآلُ الْمُؤْمِنِينَ
كُلٌّ ءَامِنٌ بِآلِهِ وَمَلِيَّتِهِمْ وَكُتُبِهِمْ وَرُسُلِهِمْ لَا يَفْرِقُونَ بَيْنَ
أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِمْ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ عَفْرَانِكَ رَبِّ
وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ۝

فكل إيمان لدى الإسلام مُهَرَّجٌ وَجَدَّاجٌ، ما لم يكن إيماناً بكافة الرسالات،
وبجميع المرسلين .

والدين يؤمرون بعض، ويكفرون ببعض، لا يُقيم الإسلام لإيمانهم ورؤس،
لأنهم بهذا التعيص وبهذه التجربة يسببون الدين أهم حصائمه لتمثله في
وحدته لعصوية والموضوعية، ويحرمون الحقيقة الدينية من أقوى براهن وجوده
وصدقه

دع أن الإسلام هو الحقيقة المشتركة في كل برهان، من الحقيقة المكونة لكل
يقين بوجود النوحى، ووجود الدين. ووجود لأسياء والمرسين !!
وبمشيئة الله وعونه سلتقى ترصيح أكثر هذه النقطة خلال ما هو أتى من
صفحات البحث ومُتَجَعِّدته .

هناك سرى رأى معين ويعلم علم اليقين أن الإسلام يد نادى استر إليه،
نما يناديهم إلى الحقيقة الدينية ممثلة في كل رسالاتها، وكتبتها، ومرسستها، بسواء
من غير سوء، بعد أن ينهى عنها تحريف المُطَّيِّلين، وصلالة المصلين

كما سعلم علم اليقين أنه حين يُنادى استر إليه لاسيما في عصر
الناشر فلما يناديهم ويدعوهم إلى خلاص أكيد من شتوة لصبيح الذى يفتح
أشداق أعوراه المدعرة لبيتلح في عياهاها وظلماتها كل ملاحاة بالإنسان بدونه
من رُوح وصمير من إرادة وفكر ومن افتدار على تحرس وجوده ومُعَدِّقته
مصيره !!

أجل، إن الإسلام بوصفه كلمة الله الخاتمة في مجال الدين وبوصفه وصية
الله المحكمة والسالفة في مجال الحياة بقادر على أن يمح العام بظلم بوره
ويهب هذا العالم الحائر الملتاث هُدهُ

هو قادر على أن يُريح من طريق الكافة من البس، والحموع الهادرة من

البشر وأولئك الذين يتكبرون في الأرض غير الحق أولئك الذين يُمدُّونهم في السُّمِّ أولئك الذين كتبوا بي لم يحطوا بعلمه، وأرتابت قلوبهم، فهم في ربهم يتردّدون..!!

لإسلام قدر اليوم، وغداً، وبعد غد، وأنداء أن يُجلى عن أرض المسيرة الإنسانية "دياصورات" الشر، ووحوش الغيبة الآفكة، كما استطاع ذلك في أمسه القريب والبعيد سور دعوته، وصدق حجته، وذكاء منطقته، وروعة ثباته، وقوة إصراره، وجلال تصحياته !!

في من تطوّر أن قد بُعدت عليكم الشُّقة، أصغوا للإسلام في مدائه، واقتربوا من بهائه، وأنهلوا من عطائه.

وإذا سألتهم: لِمَ يدعو الإسلام؟؟ وإلى ماذا ينادي الشر؟؟
أجيبكم، إنه يناديهم

* إلى رسوله..

* وإلى كتابه .

* وإلى نهجه..

* وإلى تجرّته..

أجل.. الرسول، الكتاب، والمهجع، والتحريرة

من هؤلاء يتكون الإسلام، وبهم تتحدّد معاً خصائص شخصيته المصنّة

والباهرة

ولهم ينادي البشر في حدير عظيم، وشوق حميم..





المفتي العام

بشارة ملكهم



شخصية الداعى، هى الدليل الحق، بل الدليل الوحيد على شخصية الدعوة وحقيقة المشر بفكرة، والهاثم بعقيدة، هى حقيقة لفكرة نفسها، والعقيدة ذاتها. والمتجرون بالمبادئ، مهما أوتوا من حديق فى التكر ومهارة فى التحصى، لا يستطيعون أن يمدعوا الناس عن دحائهم وما يمكرون.. وهم خر المطاف عاحرون تماماً عن أن تحوّلوا الهتان إلى صدق، والرئف إلى حقيقة!! وكما قل "كرليس" فى كتابه "الأبطال" مؤحها كلماته وسخرياته لرعماء " لكنيسة " فى العرب:

أقولون: إن "محمداً" كاذب..!!

إن الكذاب لا يستطيع أن يبنى بيتاً من الطوب،
فكيف بـرجل بنى عالماً من المبادئ، والأرواح، والقلوب..!!

أحل - إن الكذاب لا يستطيع أن يبنى بيتاً من الطوب، لأننا ببساطة سنقول له: أرى هذا البيت تنهوى أكاذيبه، ويؤلى لدبر..!!

ومبادئ لتغير والإصلاح، لا سيما الكبير منها والجليل، تُشه أن تكون بناء من رُحاح، تكشف وتفصح كن ما يدور داخلها، ووفق ذلك تكشف أنس الدين يهتمون بها، وتُعرّهم من كل أروية الخداع، وأفعة التمويه!!

والصادقون بما وهبهم الله من هدى قويم، وبما معهم من فطرة نقيّة تقية يصب من غير سوء.. هؤلاء يمشى نورهم بين أيديهم ولصدقهم بشارق وصياء!!

من أجل هذا، كان أكثر أعداء الإسلام عساء، وأوفاهم نصيباً من حبة
الأم، وسحرية حقة، أولئك الذين حاولوا - يائسين - اسل من شخصية
الرسول ﷺ وحاولوا - يائسين - أن يجعلوا عظمته الباهرة، وحصله العظيمة،
وإظهاره موضع همس، أو مدعاة تساؤل - ناهيك عن اتحادهم إياه موضوع
رفض، أو ارتياب !! وذلك حين كذبوا به لم يحيطوا بعلمه، وارتأت قلوبهم،
فهم في ريبهم يترددون!!!

والذين أركسوا بما كسوا من الغابرين أحققوا إحراقاً ما بعده إحراق،
وانتهى بهم طريقهم الزلق إلى أهوة لماعة، وصدّهم عن انبئ من شخصية
"الرسول" ﷺ ما كان هذه الشخصية من عظمة أصلها ثابت وفرعها في
السماء!!!

وحلف من بعدهم خلف، ثم خلف، ثم أحلاف - شهدتهم عصور تلو
عصور، ماصين على طريق أسلافهم رفيعين في بلاهة وحيه وتناول - نزوة
التحدى، وسماهة الانتعاص - فما كانوا أكثر من سابقهم بوفيق، ولا أقلّ خذلاناً
وإحراقاً !!

ولعلّ تاريخ الشريعة لم يشهد شخصية حثرت خصومها وشائنها ودثتهم
على أعقابهم صاعرين كما فعلت - بأعدائها رخصومها - شخصية هذا الرسول
العظيم !

ذلك أنها "شخصية" مُصّاة، يُرى باطنها من ظاهرها مفتوحة، ليس حولها
أسور ولا أستار - واضحة ومخوفة، كالسلاح المحرر وصوء النهار !!
ولعلّ أعظم ما تظالعت به هذه الشخصية، أنه ليس بين مبادئ صاحبها
وسلوكه فراغ يتسع لمرور شعرة دقيقة، أو حيط رقيق !! وأنه لم يستعد طور سنى
عمره عن مدته ولا نقد أمله. !!

وكم كانت صادقة أم المؤمنين "عائشة" رضى الله عنها حين سُئِلَتْ عن أخلاقه فقالت "كَانَ خُلِقَهُ الْقُرْآنُ" !!

ونفس الموقف الذى اتخذه منه شائئوه، اتحدوه تجاه القرآن وتجاه الإسلام فما ازدادوا إلا صغارا، وخسارا.

وبقى "الرسول" ﷺ و "القرآن" و "الإسلام" مارا للسماء فى الأرض.. وبمعا.. لا يخبص عذبه وفرائده يفيض بلهى، والخير، والحق شرعا تركوه أقدار الإنسان وأقدار الحياة .

والسماء حين قُذِمَتْ للأرض وباسها خاتم الأنبياء وأهل المرسلين، لم تقدّمه فى لفافات من عموص، ولا فى حثيث من الأحاجى والألحاح بل قُذِمَتْ فى نور كتبه، وشفافية إهائه شخصيه مقروءة، مثل كتب مفتوح ومُتَّاح. صيغت كلماته المسطورة بحروف كبر..!!

فمن طعولته، إلى شبابه، إلى رحولته، إلى معشته، إلى مماته، وأنباء حياته الماركة مسطرة بألف عين. مسموعة بألف أذن. يتعقّبها لأعداء والأصدقاء !!

والقرآن العظيم حين قُدِّمَ حامله، ومتلقيه، ومُبيّغ، ورسوله، لم يُدْثَره بقداسة راحرة، تجعل الناس يقفون أمامه رُكُوعًا، وهيبين. !! بل قُدِّمَ بوصفه "شرا" من الشر.. وو حذا بين الجميع. وإن هيبه تهوئه لأن يكون وحداً فوق الجميع!!

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾

﴿ إِنِّي أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾

﴿ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾

هكذا، علّمه القرآن أن يكون، وأن يقول وقد كان، وبصدق هذه الشخصية المقروءة والمسموعة.. المتواضعة والرفيعة. لم يغزب عن صاحبه

العظيم مثقال ذرة من الوعي بهذه الحقيقة، ولا من اليقين بأن "الصدق" هو الذي سيصحب كثيرًا، لأنه الذي يضحك أخيرًا!!

وإن للصدق ومصات حاطةً يفتحها للذين عموا، فإذا هم مصرون والذين صموا، فإذا هم يسمعون!!

وربَّ للحقيقة "غيرًا" يطرد كل ربح مُتَرِّ وحيث، ونقد كل صدق "محمد" ﷺ و"غير" محمد ﷺ يدلان عليه. ويقودان إليه

فأمام "بخاشي" الحشنة، وقف واحد من أتباعه والمؤمنين به يتحدث عنه وأمام "هرقن" شام، وقف وحدًا مثلًا لكل أحقاد قريش، وكل ضيفها ولؤمها

فهر الحلف الحديثان والمتحدثان في الشهادة له؟؟ وإطرء الحق لسموه وتبله وعظمته...؟؟

أبدًا - لم يختلفا - والتقت شهادة مؤمن الأئمة ومُشركهما على أمر قد قدر وعلى حق استبان وظهر..

وأذا، لم يختلف، لأن أفة الشرك عرفت به عن أن يُعهد عليه الكذب!! وحملته يعترف - ضطرارًا وكرها - بما كان "محمد الأمين" يُعرب به من نصارة الخلق، واستقامة اسهج، وحلال بواعثه، وصدق نيته!!

كان لدى تحدثت أمام النجاشي - جعفر بن أبي طالب - ابن عم الرسول. وأحد الدين باكروا إلى الإسلام، وبيعة "لرسول" ﷺ وقف يقول:

آيها الملك.

"لقد كنّا قومًا أهل جاهليّة، نعبد الأصنام.

ونأكل الميتة..

ونأتي الفواحش. ونقطع الأرحام. ونؤسّس الجوار

ويأكل القوى منا الضعيف حتى بعث الله إلينا رسولا
منا . نعرف تصبه ، وصدقه ، وأمنته ، وعمافه هدانا إلى
الله ، لنعبدَهُ ونُوحِدَهُ ، ونحلق ما كنا نعد نحن وآباؤنا
من الحجارة والأوثان.. وأمرنا بصدق الحديث . وأداء
الأمانة.. وصلة الرحم.. وحسن الحوار والكف عن
المحارم والدماء..!!

ونهاينا عن الفواحش . وقول الزور.. وأكل مال اليتيم..
وقذف المحصنات.. فصدقناه وأمنّا به..!!

هكذا كان حديث مسلم عن رسوله.. قاض في أمانة رشدة، وصدق أبلح
وعظيم..

أما عن التحدث عن "الرسول" ﷺ أمام هرقل فكان "أبو سفيان" زعيم
قريش يومئذ، وكبير المشركين . وإن أي حديث عن الرسول ﷺ ، ليظل ناقصا
وحداجا، ما لم ينتظم هذا الحوار الذكي ولصديق، بين هرقل وأبي سفيان
بدأ هرقل الخور سؤال أبي سفيان . عن النبي عليه السلام

هرقل: ما حسبه فيكم ؟؟

أبو سفيان: هو فينا ذو حسب..

هرقل: هل كان من آبائه ملك ؟؟

أبو سفيان: لا

هرقل: هل كنتم تتهمونه بالكذب ؟؟

أبو سفيان: لا..

هرقل: هل يتبعه أشراف الناس أم ضعفاؤهم ؟؟

أبو سفيان: بل ضعفاؤهم..

هرقل: أيزيدون أم ينقصون ؟؟

أبو سفيان بل يزيدون

هرقل: هل يرتد أحد عن دينه بعد أن يدخل فيه،

مخطة له ؟؟

أبو سفيان، لا..

هرقل: هل قاتلتموه ؟؟

أبو سفيان نعم..

هرقل: كيف كان قتالكم إياهم ؟؟

أبو سفيان: تكون لحرب بيننا وبينه سجالاً يُصيبُ

منا، نُصيب منه..

هرقل: فهل يفتر ؟؟

أبو سفيان لا .

هرقل: بم يأمركم ؟؟

أبو سفيان بالصلاة، والزكاة، والصلة، والعفاف.

هاتان شهادتان لعدو، وصديق . لمشرك يحاربه، ولمسلم يصدقه. فهن

اختلفت في الهُتاف برفعة مناقبه، وسُموّ مآدئه .!؟

وبعد أعطى " هرقل " في ذلك اليوم اسعيد مثلاً بيلاً لمهجع الرجل الخفيف

المنصف في تمحيص الحقيقة، واستطلاع الرأي

وعنى ارفع من أن لعط حشيتة، ومخافة التمرّد من شعبه، قد صرّوه عن

اعتناق الإسلام، فإن الطريفة والحوار اللذين عالج بهما القضية المُثَرّه، قد أُناب

جدارة "الرسول" عليه الصلاة والسلام بالتصديق والاتباع بانتوثير والإكثار.

حتى وفق مقدس الحباد، ولتردد ما دام حياذا يتوخى الزاهة، وتردّداً ينتظر

الشجاعة، أو ينتظر الرهان. !!

ربما ننسئُ ذلك من الكلمات لباصعة والبارعة انتى عقب بها "هرفل" على هذا الحوار.. فقد قال لترجمته

"قل له - يعنى أيا سفيس - لقد سألتك عن حسبه فيكم، فزعمت أنه فيكم ذو حسب.

وكذلك الرسل تبعث هي أحساب قومها !!

وسألتك: هل كان في آبائه ملك؟ فزعمت أن.. لا فقلت: لو كان في آبائه ملك، لكان رجلاً يطيب ملك آبائه !!

وسألتك عن أتباعه أضعفاء القوم أم أشراهم؟ فقلت: بل ضعفاؤهم.. وكذلك أتباع الرسل !!

وسألتك: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فزعمت أن.. لا.. فعرفت أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس، ويكذب على الله !!

وسألتك: هل يرتد أحد منهم عن دينه، بعد أن يدخل فيه، سخطة له؟ فزعمت أن.. لا...

وكذلك الإيمان إذا حاطت بشاشه لقلوب !!
وسألتك: هل يزيدون أو ينقصون؟ فزعمت أنهم يزيدون.. وكذلك الإيمان حتى يتم !!

وسألتك هل قاتلتموه؟ فزعمت أنكم قاتلتموه، وأن الحرب بينكم وبينه سجال، وكذلك الرسل تبلى ثم تكون لهم العاقبة !!

وسألتك: هل يغدر؟ فزعمت أنه لا يغدر.. كذلك

الرسول لا يغدرون" ١١

ثم يختم "هرقل" حديثه اليلخ قائلا لأبى سفيان:

"إن يك ما تقول حقا، فإنه نبي.. ولقد كنت أعلم أنه

حارج.. ولم أكن أعلم أنه منكم.. ولو أعلم أنني أحلص إليه،

لأحببت لقاءه.. ولو كنت عنده، لفعلت عن قدميه." ١٢

هكذا كان عبيره. وكان يوره. يهدين إليه، ويدلان عليه!! حتى أوشك

الدين م يروه ولم يخلصوا إليه بل كن مصدرهم في معرفتهم به مجرد السماع

عه ومن ٩٩

من أكثر حصومه ددا، واقسامهم قلنا، وأعمهم حرب ١

إن "هرقل" حين تمى أن سل شرف لقاء سديا "محمد" عليه الصلاة

والسلام، وحين ود نرينا غسل قدميه الشريقتين، لم يكن قد شاهده، ولا عيشه،

بل ولا رآه فكيف لو كان رآه ١٠٠

إن كل ما عرفه به، بصع كلمات سمعها عنه. ومن ٩٩ من ضاغن، وشائين،

وعدو، يقتلح الحقيقة من تحت أضراسه اقتلاعا.. خشية أن يعرف عنه الكذب إذا

هو تجانف أو زاع ١١

فكيف تمتح عقل "هرقل" وقلبه لهذا الذي سمع ٩٩ وكيف تصممت

روحه بعطر ليس معه قارورته.. عطر قادم من بعيد... ١١٩٩

وكيف انشى صدره على ذلك الشوق الحميم إلى لقاء "الرسول" ﷺ وتلك

الرغبة الحثيثة في أن يغسل قدميه... ١٢٠

وكيف كاد يُسلم لولا تصايح رجال حشيشته، وأبطرة كيسته ١٩.
لا أحسب أن ثمة سبباً يقدم لنا جواباً شافياً، ويفسر لنا هذه الواقعة وهذه
الظاهرة سوى ما كانت عليه شخصية الرسول ﷺ، وشخصية دعوته من قوة
الصدق، وقوة الجذب.. وقوة التأثير..!!

أما قوة "الصدق" فلأنه كان رسولاً حقاً، لا رسولاً مُتَحَلِّلاً وكانت هناك
نبوءات صادقة، وإرهاصات صادقة بحتمية بحيشته، وقرب ظهوره نُسوءات كان
يعرفها العالمون والمخلصون من أهل الكتاب - وإن استغشى عليها ثيابهم قوم
آخرون من أهل الكتب وأيضاً انحدروا إلى كتبه، وتردوا في إنكارها!!

وأما قوة الجذب والتأثير، فلأن أولئك العظم الذين يحارهم الله لحمل
رسالته، ويصطنعهم لنفسه، ويصنعهم على عيه - يُودع شخصياتهم من لغير
ومن الإلحاء ما تُدنى منهم ألقوب، وبطوع لهم رعب الآخرين ومودتهم حتى
ب تأثيرهم وهم عاثون، يكاد يفسد تأثيرهم وهم شهود وحاضرون!!!

"المسيح" عليه السلام، رآه ولقي به في حياته عشرات من أسس أو
مئات - منهم من آمن به، ومنهم من كفر ولكنه مد أن رحل عن دسا، دسا،
ومئات الملايين تدخل مجال جاذبيته طائعة، راعية، مشتقة

"والرسول" ﷺ عادر الدي إلى الرفيق الأعلى تاركاً عشرات الألوف من
الدين رأوه، وعاصروه، وأموا به، وأنعوه - نكته مد رحيله، ومئات الملايين
كذلك تدخل مجال جاذبيته، وتأسرُ بدينه، وتُسرع إليه طائعة، راعية، مشتقة ١١.



إن قوة الصدق، وغرام الطاعة انكسمة فيها قوة الجذب والتأثير لرسالة
"الرسول" ﷺ و "شخصيته" م تكفياً - عبر الأجيال - عن تقديم النموذج الذي
قدمناه منذ أربعة عشر قرناً من خلال الحوار، المُشحَّين "هرقل" و "أبي سفيان" ١١

فكثير من الذين عاشوا على دين غير دين "محمد" ﷺ، رفضوا أن يخوضوا الحقيقة، ويؤمنوا قول الحق فيه. ورفضوا أن يُعالجوا أنفسهم، ويكتفوا الحق وهم يعلمون فمضوا - صدقيين وشجعاناً - يصدعون بما عرفوه عن عظمتهم، وصدقهم، وإخلاصهم ويصدحون - في كلمة فرح مغتبطة - بما بهرهم من شخصيته المصداقة والمصنعة لقرأ مثلاً لواحد من هؤلاء الذين أحبههم عصرنا الحديث ذلك هو "لامارتين" ..

إنه - كما نعلم - لا يُعرف عنه إيمان بالإسلام ولا برسوله ولا بقرانه - ومع هذا فقد آمن بما احتشدت به شخصية "الرسول" ﷺ من صدق، وسر، وسمو، وبل، ورحمة، وهدى، وأمانة، وعمة، ودكاء، وخلق، ومن اقتدار هائل على تحدى الباطل وكسر الصلال ومن يجد عميق بالله، وتثل للدعوة، وولاء مُقيص لميم الحق، والعدل، والخير، والفضيلة، والجمال...!!

فصور ذلك كله في كلمات أعطت التعبير النهائي لما يستطيع بسن أن يُبدى من حب، وتوقير، وإجلال.. ها هو ذا يتحدث ويقول:

"لم يظهر - قط - رح من مثل "محمد" ﷺ عَقْدَ نِيَّتِهِ حول غاية أعظم سموًا.. غاية فوق قدرة البشر.. تستهدف هدم الخرافات القائمة بين الخلق والخالق.. وإعادة الرب إلى الإنسان، والإنسان إلى الرب..

وإصلاح المبدأ العقلي السليم تجاه الألوهية في خواء آله الوثنية الغلاظ المشوهين..

لم يظهر قط رجل مثله قام في أقل وقت بثورة بالغة الشمول، والاستمرار فنشر الإسلام في أقسام جزيرة العرب الثلاثة، وفتح لوحداية الله بلاد فارس،

وخراسان، وما وراء النهرين، والهند، والشام، ومصر،
وجميع القارة المعروفة بأفريقيا الشمالية، وكثيراً من
جزر البحر المتوسط، واسبانيا، وقسماً من بلاد المغرب..!!
وإذا كان عظم المقصد، وضالة الوسائل، واتساع
النتائج مقاييس ثلاثة لعبقرية الرجل.. فمن ذا الذي
يحرر على تشبيه أحد من عظماء العصر الحديث
بـ "محمد" ﷺ..!!

إن أبعدهم صيئاً لم يصنع غير هز السلاح، ورعرة
الدول.. ثم يُقيموا - إذ كانوا قد أقاموا شيئاً - سوى
سلطات مادية مُنْهارة..!!

صحيح أن "محمدًا" ﷺ هزّ سلاحاً، وأزاح شرائع،
ورعزع دُولا وأمما وأباطره..

يَبْدُ أنه فوق ذلك أزاح أفكاراً، ومعتقدات، وعيّر
نفوساً، وأقام على كتب - أصبح كل حرف منه شريعة -
جنسية وروحية لأمم شتى..!!

ثم هو قد طبع هذه الجنسية الإسلامية بسمة المقتضى
للآله الباطلة، والحب لله الواحد الأحد..!!

فيلسوف، وخطيب - رسول، ومُشْرِع، محارب، وفاتح
لأفكار، ومصلح لعقائد - مُحْيٍ لعبادة بغير صور ولا
تماثيل..!!

مؤسس لعشرين دولة دنيوية، ومُنْشِئٍ لعالم من
الروح..!!

ذلكم، هو "محمد" ﷺ..

فمن ذلك الرجل الذي يمكن أن يكون أعظم منه،
بكل المقاييس التي تُقاس بها عظمة الإنسان. ١١٩

ما الذي جعل هذا الشاعر الفرنسي الكبير - من شعراء القرن التاسع عشر -
يُصرِّح كتابه "السفر إلى الشرق" بهذه الكلمات بوصف الحسان، عن رسولٍ لم
يُعرف عنه إيمان به، ولم تُصُدِّه مسيحيته عن الاعتراف بعظمته، وروعة أيامه ١٢٠
ما الذي هاج أشواقه إلى العظمة الإنسانية حتى رآها مكتومة ومردهرة في
شخصية رسولنا ﷺ، وفي أخلاقه، وفي ديبه، فراح يحْيِيه نحيباً مؤلِّهاً جدلاً ١٢١
عليه صلاة الله وسلامه، وله تحياته وبركاته فهو رحمة الله للعالمين
ولنقل مع "لامارتين".

مَنْ ذلك الرجل الذي يمكن أن يكون أعظم منك
بكل المقاييس التي تُقاس بها عظمة الإنسان..!!



الفصل الثاني

رجال كل العصور



إنَّ هذ الذي تلوه، وطلعنائه من كيمات الشاعر والمفكر الفرنسي الكبير
"لامارتين" م يكن وحيداً بين الآراء والاعترافات التي أدلى بها في عجاب
وافتتان وصدق رجال كثر، وكبر، من الدين أمصّوا حياتهم، وقصّوا نحبهم، وهم
خارج دائرة الإسلام

يَبْدُ أن ثقافتهم وأطلاعهم الواسع المتراحم ثم احترامهم لأنفسهم
ولتفكيرهم كل هذ جعلهم يحور أمام عظمة الرسول ﷺ وبقائه وثقائه !
ثم لم يستطيعوا صرا على اختزان عجابهم، ولا على كتمان الولاء الذي
أفعم به وجدانهم وتفكيرهم..

ولاء من، ومن..؟؟

ولاء أناس مصفين يديون بغير دين محمد ﷺ أدهلهم مه خلقه، وطهره،
وروعة ثانه، وبطولة صحبائه، وصدقه مع ربه، ومع نفسه، ومع الناس ثم
احترمه ابوثيق والعميق للعدل، ولحرية، وللحق، وللخير، ولحقوق الإنسان



ولم يكن الشعر في "لامارتين" هو الذي صاع إعجابه المخط، وشهدته
التألقه - بحسب - بل كان عقله يساق وحدانه نحو هذ الإعجاب، وهذا الانهار
وكأى من عالم عربي. يعتمد في تكوين أحكامه على المنطق، والتحليل،
والمنشئة، والمقارنة. يشك ليعرف.. ويتوقّف قبل أن يحكم - استطاع في صباه
إخلاصه وصدقه، وتراهة عقله وفكره - أن يصل إلى نفس النتيجة التي تؤكد مدرة
ابوجود المحمدى بين كل وجود وكل موجود.

هذا مثلاً 'روم لاندو' لذي عمل أستاذاً للدراسات الإسلامية
والشمال - أفريقية، في جامعة المحيط الهادي بكاليفورنيا يقول في كتابه
"الإسلام والعرب".

"كان 'محمد' ﷺ تقياً ومطهرة وكان من غير ريب مهياً لحمل رسالة
الإصلاح التي تلقاها في رؤاه. وكان يمتد يده لا يلبس بفكرة الإله الواحد
وعزماً راسخاً على استئصال كل أثر من آثار عبادة الأصنام التي كانت مسندة بين
الوثنيين العرب.

كانت مهمته هائلة!!

وإنَّ الرُّعْم، لقاضٍ بارٍ فترات تلقية الوحي كانت ثوبت صرع زعمٌ خطي
على نحو جليّ ذلك لأن من يتعرض لهذه الثوبات، لا يمكن أن يكون مالمٌ وعيه
ومسطقه إلى حدّ القدرة على التطق بمثل لمقاطع المعقّدة والعميقة التي بطبع الكثير
مها في القرن

إنَّ الإخلاص الذي تكشف عنه محمد في أداء رسالته، وما كان لاتباعه
وأصحابه من إيمان كامل بما برز عليه من وحي، واحترار الأحيال والقرون. كل
أولئك يجعل من غير المعقول اتهم محمد بأيّ ضرب من الخداع والتلفيق
فلم يعرف التاريخ أيّ تلميح ديني معمد - حتى حين يكون صاحبه عصفراً
في الدجل - استطاع أن يعمر طويلاً

وربَّ الإسلام لم يعمر حتى الآن ما يبيّن على ألف وأربعمائة سنة. فحسبُ
من إنه لا يزال يكسب في كل يوم أتباعاً جددًا.

حين وصفه الله سبحانه وتعالى بأنه "رحمة للعالمين" لم يكن هذا الوصف تحية
من عبد الله به فحسبُ بل كان كذلك إرهاباً بما سيظهر به من الشرية في كل

عصوره وأحيائها من حمد لا يطاول، ومحمد لا يصغر بهاؤه بما يحمل قلبه الكبير
لباس من مرحلة، وبما يعدوهم به من نعمة الهدى وراة الحقيقة

وهكذا لم يكن الرسول ﷺ عظم أيام دون أيام ولا عصور دون عصور
لأنه لم يكن دعية مرحلة بل داعية أمة ۱۱ ولقد عدت روافده وينابيعه - عمر
لأحياء والمفروق - بكل طب وصادق وحميل من عذب لعل وحاصل العمل،
وجلال السلوك ۱۱

من أجل ذلك، كان "الرجل" الذي تتألق فيه معالي الأمور وتتألق به ومعها
القدوة الصالحة في كل عصر وجيل ۱۱

ومدحه محمد ﷺ وإلى يوم الناس هذا. ثم إلى الأبد وما بعد الأبد - إن كان
للأبد بعد - يجد كل عصر فيه وفي دينه قدوته، وأسوته.. وآماله المرحومة
وحلاصه المرقوب ۱۱ هو ذن، مام كل زمان وقائد موكب متساق من الس
والأيام ولأحلام وابدئ وانروى والقيم.. موكب لا يزدر بانتها

ولقد أدعى هذه الحميمة وأداع بها - مصموم كثيرون من مفكرى أورب
المنصفين.

وهذا واحد منهم يقول:

"بعد أظهر محمد عظمته الحقيقية في أنه لم يكن رحى عصر بعينه بل رحى
كل العصور وم يكن محمد حيا بل عكف على ترسيخ أسس المجتمع الذى
رسمه لنفسه..

"كان رجل دولة لا نظير له ۱۱ فقد استطاع فى عصر عمه التفسخ لدى لم
يكن ثمة أمل فى الشفاء منه وبالخامات الشرية التى وحدها بين يديه من
حواريه وأصحابه أن يبنى دولة ومجتمعاً على أسس علمية رائعة ۱۱"

هكذا صدع استشرق "مير" وصدق بهذه الشهادة الصادقة في كتابه
 "حياة محمد" رغم ما كان يجرح به أحياء من مستنجات مغلوطة !!
 إن شرف الحق وقداسته يرضان عني أولى الألبان والنهي الاحترام لهما،
 والاعتراف بهما ربائل لمن ومن يحمل راية الحق، حانياً عليه ودعياً به
 هكذا كان الرسول محمد ﷺ ولسوف يبقى، في الصدرة من هؤلاء الخائين
 والداعين

* * *

نرى من يكون هذا الرجل القد، والرسول العظيم وماذا كان سره لمعحر
 والمهيم ؟؟ أم من يكون ؟؟ فسيأتي حديثه عما قليل . وأم سره الذي حثه إلى
 الناس ورأته في قلوبهم - مكثيين ومؤميين راضين وكارهين ثمن هم معه،
 وثمن هم عليه فأمر يهر الأبواب حقاً وتحار فيه لعقول !!
 فمير الجاهليين الذين آسوانه، وأبغوا الثور لدى أنزل معه إلى أولئك
 لمفكرين الكبار من أوروبا والعرب الذين لم يسلّموا معه وأسلموا واستسلموا،
 سره الخليل، وعظمته المتفوقة، ومواهبه المتألّفة، بين أولئك وهؤلاء رؤيه مشتركة
 لهذا السر، ولتلك لعظمة وهاتيك المواهب

وهي رؤية نرى مؤميين مناسكهم وأسوتهم ونرى غير المؤمنين، ذلك
 الألو الإنساني الذي يعجز في أنفسهم لثيّه وخيلاء، إذ أنهم ينتمون لهذه الشريعة
 الناقية لتي أحبب - فيهم أحببت - هذا الإنسان الممجّد والعظيم .

وليس إجلال لمفكرين الغربيين له أكثر دلالة من إحلال الدين عاصروه من
 العرب، وتلقؤه مع كلمات الله، وحملوه معه راية القرآن والإسلام.
 وليس السر الكامن وراء هذا الإحلال من كلا الفريقين إلا تفسيراً صادقاً

للعجب، لدى عملاً أفندتنا ويستجيش ألباناً نجاء بساطة وعظمة وتأثير هذا الرسول الأمين

ففى بيته وقومه، وزمانه، حيث يقوم لرب العالمين، بين قوم لهم فى بعض الموهب والخصائص شُمُوح. وإنهم لعنيدون فى طلب الدُّلُس والرهان على كل دعوى رقصية متعاطمون حتى حين تغشاهم المسغبة ويُملِقون سادة لم يدُلُوا قطُّ لعارٍ ولا دحيل

فى هذه البيئة اللافتحة والمستعبدية، وبين هؤلاء الناس المتغطرسين انغلاقاً كيف فرصت شخصية الرسول ﷺ، احترامها وجلالها، حتى قبل أن يُبعث رسولاً بن حُثَّى وهو شاب فى عمر أبناء بعضهم، وأحقاد لآخرين؟ ثم كيف أشرقت قلوبهم سور ربها بعد بعثته، وحلوا من الإيمان ما يبدؤ كل نظير؟

دعونى أنقل من كتابى "رجال حور لرسول" هذه الكلمات والتساؤلات - ما الذى جعل سادة قومه يسارعون إلى كدماته وديبه - أبو بكر، وطلحة، والزبير، وعثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أسى وقاص متحلين بهذه السارعة المؤمنة عن كل ما كان يحيطهم به قومهم من محذ وجه، مستغلين - فى ذات الوقت - حياة تُمر موراً شديداً بالأعواء وبالصُّراع..؟

ما الذى جعل ضعفاء قومه يلودون بحمه، ويُهرعون إلى رايته ودعوته وهم يصبرونه أعزل من المد، ومن السلاح يزل به الأذى ويطارده الشر فى تحد رهيب دون أن يملك له دفعا؟

- ما الذى جعل جبار الجاهلية - عمر بن الخطاب - وقد ذهب بيقطف

رأسه العظيم بسيفه يعود ليقطف بنفس السيف الذي زاده الإيمان مصاء
رؤوس أعدائه ومصططهديه ؟

- ما الذى جعل صفوة رحل المدينة ووجهاها يمدون إليه ليسانعوه
على أن يخوضوا معه البحر والهول، وهم يعلمون أن المعركة بينهم وبين
قريش ستكون أكبر من الهول..؟

ما الذى جعل المزمير به يريدون ولا يقصون، وهو الذى يهتف
فيهم صباح مساء

لا أملك لكم نضاً ولا ضراً، ولا أدري ما يفعل بى ولا بكم ؟

ما الذى جعلهم يصدقون أن يدب ستمح عليهم أقطارهم . وأن
أقدامهم مستحوص حوضاً فى دهب لعالم وتمشى فوق تيجانه . وأن هذا
القرآن الذى يتلونه فى استحشاء ستر دده ، لآفق عالى الصّدح قوى الرأس ..
لا فى حيلهم فحسب . ولا فى حريرتهم وحسب . بل عر حبح لرمات
وجميع المكان.

أحسن .. ما الذى جعلهم يصدقون هذه لبوءة بحدّتهم به رسولهم
ﷺ، وهم الذين يتلفنون فلا يجدون أسامهم وحلفهم، وعن أيمانهم وعن
شمالهم سوى القيط والسعب وحجارة تدقّ فيحّ الحميم، وشحيرات
يابسة طلعتها كأنه رؤوس الشياطين..؟

- ما الذى ملأ قلوبهم يقيناً وعزماً ؟

نه بن عبد الله !!

ومن لكل هذا سواء؟!

لقد رأوا رأي العين كل فضائله ومزاياه.

رأوا طهره، وعفته، وأمانته، واستقامته، وشجاعته.

رأوا سمره وحسنه . رأوا عقله وبيانَه . رأوا الشمس تتألق تألق صدقه وعظمة نفسه.

سمعوا بمو الحياة بسرى فى أوصال الحياة عندما بدأ محمد ﷺ يفيض عليها من وحي يومه وتأملات أمسه . !

رأوا كل هدى، وأصعاف هذا، لا من وراء قناع بن مواجعة وتمرُّس، وبصرًا وبصيرة.

وحين يرى عربى تلك لعصور شتًا ويفحصه فلا يثبت أنشد مثل خير فهم أهل "الفيافة والعيافة" يرى أحدهم وقع الأقدام على الطريق فيقول لك: هذه قدم فلان بن فلان...!!

ويشم أنفاس محدته فيدرك ما تحت حوائجه من صدق أو بهتان

هؤلاء رأوا محمدًا ﷺ وعصروه منذ أهل على لوحود ولیداً

لم تحف عليهم من حياته خافية

كل رؤاه، كل خطاه، كل كلماته، كل حركته، من كل أحلامه وأمايه وحاطرات نفسه كانت من أول يوم أهل فيه على الدنيا حقاً للناس جميعاً
لكأن الله تعالى أراد بهذا أن يقول للناس هذا رسول إليكم - وسيسيته
لمطلق واسحق - وهذه حياته كلها مذ كان جنيناً

فكل م معكم من مطلق وعقل، انحصوها وحكموها هل ترون فيها شبهة...؟ هل تبصرون زيفاً؟ هل كذب مرّة؟ هل خان مرّة؟.. هل هبط مرّة؟ هل ظلم إنساناً؟ هل كشف عورة؟ هل خسر ذمة؟ هل قطع

رجل ؟ هل أهمل نعمة ؟ هل تحلى عن مروءة وخدمة .
هل شتم أحداً . ؟ هل استقبل صمًا ؟

* * *

كما يقول "كارليل"

"كان ظهور محمد ﷺ في الحياة ولادة من الظلمة إلى النور ."

كان قومه على شفا حمرة من النار، فأبغضهم فيها ولا يزال، وسيطن مقتل
لكل الواقفين على شفا الحمرة - واستأثرين - هي عمى - نحو مهاوى الخطر ! وإن
الكلمات المصيبة والحريث والمصنة انتهى واحه بها قومه في الساعات الأولى من
بعثه سيظل يوحىها إلى العالم في شتى عصوره ودهوره وأحياله

وهذا ما يجعله "رجل كل العصور" !!..

وعندما أنشأ الله سبحانه أن وقته قد حان . وأن دوره قد جاء ليبلغ رسالته
وبدورته ويشارته بادئ بعثيته لأقربين - صعد الصفا، وبدى يا معشر قريش

وراح انقرشبون يعدون، ويقطعون الأرض وثنا نحو الأميين !!

وتحلقوا حوله، وعيونهم تتلطف، وأذانهم تُعطى السمع في سكوت

وأشار محمد ﷺ بيمينه - برك الله بيمينه - وقال :

"أرايتم لو أخرجتكم إلى حيلابوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم
مُصدّقين ؟"

قلوا في صوت واحد نعم واللات بما حرث عليث كبتا !!

قال فرب الله قد أرسلني إليكم، لبعثوه ولا تشركوا به شيئاً وإني سدير
لكم بين يدي عذاب شديد"

وتعشى وجوه أكثرهم تجهّم ووجوم. ولووا أعناقهم التى بدت وكأهب
تحمّل الأبيار المعرضة فى أعناق النقرات وإثيران!!
لكهم لادوا بصمت ولم تفتح بدائهم عليهم بكلام.
وفجأة. انعت أشقاها ومن أسير أن كان هذا الشقى عمّه أبا لهب. الذى
قال. ثبّا لك.. ألمدا جمعتنا؟؟

* * *

إن محمداً ﷺ..

إن "رحل كل اعصور" لا يزال هناك قائماً فوق الصفا أو فوق البطحاء
يبدأى الناس أنه مديّر لهم بين يدي عذاب شديد يدعوهم إلى الخير، ويأديهم إلى
الحقيقة. ويدلّهم إلى حالقهم ربهم ورب كل شيء!!

إنه يرسل فى الجموع من كلّ جيل سناً مبادئه وصدقه وكلماته الوصاء !!
ويبدأى الذين تفصّموا عن حقائق الدين - كل دين إلى الحقيقة التى لا
انصمام لها

ولكلّ من تلك لجموع والأحبال "أنو هبها" يشعّب بعنث القل وأردله،
ويقول لصوت الصادح - الحق - ثبّا لك سائر يومك أهد، جمعت!!

أحسن إن محمداً ﷺ ها وهناك إنه معنا ومع الآخرين مع البشرية كلها منذ
اصطفاه ربّه ليكون للعالمين نذيراً
إنه "رحل كل اعصور"

منقدها، وهاديهها، وعظم أعلاها وسلاسلها ومطوق أرواح سيها من الأسر،
وواضح الإصر عنها.

ومذ قال الله تعالى له.

﴿ فَاسْتَنْفِمْ كَمَا أَمَرْتُ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ضَمُّوا فَتَمْسِكُمْ لَنَارٍ وَمَنْ لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ۝ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَى النَّهَارِ وَرُفْعًا مِنَ اللَّيْلِ ۝ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهِنُ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذَكَرَى لِلَّذِينَ كَرِهُوا ۝ وَصَبِرُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُصِغِعُ أَمْرَ الْمُحْسِنِينَ ۝

سورة هود ١١٢-١١٥

مذ تنقّى من الحكيم الخبير هذه الآيات المباركات من القرآن العظيم وهو يعلم أن أول عاصر الاستقامة كما أمر وعنى ما أمر ألا يكفء - ومن تاب معه - عن توحيه النداء إلى لاس، وتذكيرهم بآيم الله، ودعوة لطرحين في الأماكن البعيدة، والمتاهات السحيقة إلى عام القرب من الله وإلى انور الديو لا يطفئ، والصحة التي لا تصل والهدى الذي لا يزيع

ولقد أدرك تمامًا لماذا أتبع الله أمره له بالاستقامة على الأمر، والعزيمة على الرشد بقوله سبحانه ﴿ وَلَا تَطْغَوْا ۝

ذلك وأنه رحمة الله للعالمين وأنه رحل كثر العصور وبيها ومعلمها، لابد أن تكون الوسوسة عنده في طهر العانة وسها في جهاف وحلاها. فيكون مقامه دومًا مقام من يدعو جُموعًا لا من يسوق قطيعًا !

وكيف بوجه تعاليمه وقيمه وعقله وقلبه وهداه ونهاه إلى اسشر أجمعين إدام تكرر الدعوة والحكمة والموعظة الحسنة بهجه وسيله ٩٩

وهل كان افكر الأوروبي المنصف في القرن العشرين سيرى فيه " رجل كل العصور " بو كست قوة بعصلات، هي وسينته إلى حمل الناس على ما يرحوهم من نعمة وما يشتر به من مادي العدل، والإحياء والرحمة ٢٢

وهل رأينا، أو سمع أحدًا يصف الإسكندر، أو حنكيز خان، أو يوليوس قيصر، أو نابليون، أو هتلر، بأنه " رجل كل العصور " ٢٢..
ما كان ذلك ليكون..

فالقوة لحاشمة لا يمكن لها بحال أن تهب الدم " رجل لعصور " بل ولا رجل عصر واحد إنما تقدر العظمة وحدها على ذلك عظمة الشخص وعظمة المبدئ وعظمة الغيات وقلها عظمة الوسائل !! وكديكم كن لإنسان العطر، والفريد الذي حتم الله به رسله وأنبياءه

الرحمة المهداة ..

المشتر، والذير..

والسراج المنير .

ورجل كل العصور..!!





الفصل الثالث

البشرىات بين يديه



لأنه رسول رب العالمين، ولأنه المذخر والمذخور، ليختم الله به رساله
ورسالاته، ودينه، فقد كان لابد أن تقدمه بمستقبل النبوءات الصادقة، وتُمهّد له
المبشرات المتألقة.!!

ولقد حكى القرآن الكريم طرقاً من تلك النبوءات وذلك حين قال:

﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي
تَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ
بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ
وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْفَاحِشَاتِ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْصَارَ الَّتِي
كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَبَصُرُوا
وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

"سورة أعراف: ١٥٧"

كما نقل إيب ما قاله "المسيح" عليه صلاة الله وسلامه بقومه:

﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَسْنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ
اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقٌ لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا
بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾

"سورة الصف: ٦"

كذلك حدثنا القرآن الصدوق الحكيم عن الموثق الذي أحده الله على أنبيائه.. وهو بالتالي ملزم للأمم أولئك الأنبياء
تلك الأمم التي تشهد بعثة سيد "محمد" عليه لصلاة والسلام وما هو
ذا الموثق العظيم

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا ءَانَيْتُكُمْ مِنْ
كُتُبٍ وَحُكْمٍ ثُمَّ خَآكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ
لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ، وَلَتَنْصُرُنَّهُ، قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ
إِبْرَئِي ۖ قَالُوا أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَشَهِدُوا ۚ وَأَن مَّعَكُمْ مِنْ
الشَّاهِدِينَ ﴾

"سورة آل عمران ٨١"

واضح من تلك الآيات الكريمة، أن ثمة "سوء" صادقة و "مشراب"
واقعة!!

وواضح كذلك أن الدين اشتركوا في سب هبده السوءات من الأنبياء
 والمرسلين - عليهم السلام - قد تركوا لأتباعهم في كل العصور والأجيال وصلة
حالدة، بأن يتبعوا هذا الرسول الكريم انقاداً، إذ هم شهدوا معثته سواء منهم
الذين سيعاصرونه، أو الذين سيجيئون بعد عصره إلى أن يرث "الله" الأرض
ومن عليها..

ولقد اقتضى ذلك أن تكون جميع القنرات مفتحة وموصولة بين الرسول
وبين من سيقوه من إخوانه - عليهم أفضل الصلاة وأرکي السلام

وهكذا وحب الإسلام يرفص كل إيمان به ورسوله ما لم ينتظم الإيمان
بكافة الأنبياء السابقين، وبالكتب والأديان السماوية لسابقة، والمنزلة من لدن

حكيم عليم!

وفي الآيات، الأوليات من القرآن العظيم نعتُ الله سبحانه وتعالى عباده
المؤمنين بأنهم

﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا
رَزَقْنَاهُمْ يُعْشِقُونَ - وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ
مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾

"سورة البقرة ٤، ٣"

كذلك يدعوهم عز وجل إلى أن يحملوا في أفئدتهم إيماناً صديداً، وولاءاً
مطلقاً هذه القضية

﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ
وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ
وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ
مِّنْهُمْ وَنَحْنُ بِهِمْ مُّسَوِّوْنَ ﴾

"سورة البقرة ١٣٦"

هناك - إذن - اعتراف مُتبادل بين الرسول "محمد" ﷺ وبين إحرته السابقين
وبين الإسلام وما سلف من شرائع أو "أديان" ..

وهناك - كذلك - عهد مُشترك بين جميع الأمم والشعوب اتى احتصها الله
برحمته، حين أرسل فيهم وإليهم من يركيهم، ويهديهم إلى صراط الله العلى الحميد
من الأنبياء والمرسلين ..

ولقد فارت " الأمة المسماة " في كل عصورها وأجيالها شرف الحفاظ على

هذا العهد، والوفاء به، والولاء له..

فلا تجد "مسدماً" واحداً، خلال لأربعة عشر قرناً لتي عدتها لإسلام مد
أهل وبرزغ

ولر تجد "مسلماً" واحداً فيما سيأتي من قرون وأرمه، وأحيال، يكمر
برسول واحد من المرسلين السابقين أو يكفر بكتاب مُرّن واحد من كتب
لسماوية التي بقيت بلا ترئد أو تحريف ما دام قد آمن بالله رباً، وبالإسلام ديناً،
وبمحمد ﷺ رسولاً..

وحي أسأل عن أعظم خصائص الإسلام، أحيب إنها "عالمية" !!
فهو "عالمى" النعمة، والاتجاه، والمنهج..
شهد له بذلك ربه ومُنزله حين نادى رسوله

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾

'سورة يونس ١٠٧'

وحي حمله مسئولية شُموں الدعوة، وعالمية البلاغ، قال

﴿قُلْ يَتَّابِهَا الْآسُ بِي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾

'سورة الأعراف: ١٥٨'

وبينما قال ربنا سبحانه عن الرسل السابقين:

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا﴾

'سورة المجل: ٢٦'

تجد يقول للرسول "محمد" عليه الصلاة والسلام

﴿وَأَرْسَلْنَاكَ بِآسٍ رَسُولًا﴾

'سورة النساء: ٦٩'

وحيث يحدث الله في كتبه الكريم عن الأمم ومُرسلاتها قل

﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾

"سورة طه ٢٢"

وعند مصدق لما سبق أن ذكرنا من قول الرسول عليه الصلاة والسلام

"ما من نبي إلا نعت لقومه خاصة إلا أنا.. بعثت إلى
الأبيض، والأحمر، والأسود."

وكثيراً ما كن - عليه الصلاة والسلام - يقول "أنا دعوة أبي إبراهيم"
مشرّاً بهذا إلى موقف الخليل حين فرغ ومعه ابنه "إسماعيل" عليهم السلام -
من بناء الكعبة، إذ اتجه إلى الله في صراحة وثقة، تقيّة، ودع

﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ
وَيُعِيمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ﴾

"سورة نوح ١٧٩"

والقصود ذرية إسماعيل

ولقد تقبل الله صراسته واستجاب دعاءه. وسارع إليه بشراه إنّه - سبحانه -
قد سمع وأجاب! كما سارع له بما أخذ على نفسه - حلّ حلاله - من عهد أن
يحقق لخليله "سيدنا إبراهيم" ما يرجو ويتمنى..

و "العهد القديم" من الكتاب المقدس، هو الذي يقلّ بين هذه الوعد،
وذلك العهد في هذه الفقرة من مزمور التكوين

"وقال الرب لإبراهيم - يعني إبراهيم - اذهب من أرضك

ومن عشيرتك، ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريدك،
فأجعلك أمة عظيمة.. وأبارك، وأعظم اسمك، وتكون
بركة، وأبارك مباركك ولاعنك ألعنه. وتبارك فيك
جميع قبائل الأرض" ١٨

سفر التكوين - لإصحاح الثاني عشر ٢،٣

من هي قبائل الأرض واقاربها الذين تُورك بينهم "سيد إبراهيم" عليه
السلام ٢٢٠؟

من - غير المسلمين - يُصنون عليه ويسلمون، ويباركون اسمه ويذكرونه في كل
صلواتهم أثناء الليل، وأطراف النهار، قائلين:

"اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت
على إبراهيم وعلى آل إبراهيم.

"وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت
على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد" ١٩

إن "السوءة" التي أسلفناها والمنقولة عن سفر من أسفار التوراة، هو "سفر
التكوين" لتصلك سوءات أخر، رحرت بها التوراة، والإنجيل، حتى في السح
القائمة اليوم

ولقد تتع طرقاً من هذه السوءات، وتناولها بتعليقه لدى المصيء،
الفيلسوف الهندي لمسلم "مولان محمد عدي" في كتابه القيم. "حبة محمد،
ورسالته" ترجمة الأستاذ "مير لعلكي" وإله ليسعدي، ويسعد القراء معي أن
نصحه في حديثه هذا

"إن الكتب السماوية كلها تشتمل على سوءات عن محيى الرسول وإله

ليبدو أن العناية الإلهية شاءت أن تصهر الشرائع الدينية المحتملة في عقد واحد، ينتظمها كلها. وذلك كي تصهر، لإساسة في أخوة كونية، فأرسلت - أي العناية الإلهية - نبيا ورسولا يحمل رسالة إلى الجنس لشري كله .

ولقد احتفظ العهد القديم والعهد الجديد - هذان الكتابان المقدسان - على نحو سليم بعدد من النبوءات عن مجيء الرسول "محمد" عليه صلاة الله وسلامه ففي سفر التكوين يقول الله لخليله إبراهيم

"وأما إسماعيل، فقد سمعتُ لك فيه هأنذا،
أباركه، وأثمره، وأكثره كثيرا جدا.. اثني عشر رئيسا
يلد، وأحمله أمة كبيرة"

سفر التكوين لإصحاح السابع عشر ٢٠

فها أعطى الوعد الخاص بإسماعيل وذرته بالطريقة نفسها، لى أعطى
الوعد الخاص إبراهيم وذرته..

ثم هك نبوءة أخرى من خلال الوعد الذي وعد الله إبراهيم إياه ها هو ذا

"وأقيم عهدي بيني وبينك، وبين نسلك من بعدك في
أجيالهم عهدا أبديا، لأكون إلها لك ولنسلك من بعدك
وأعطي لك، ولنسلك من بعدك أرض غريتك كل أرض
كعبان ملكا أبديا لك. وأكون إلههم"

سفر التكوين لإصحاح ١٧ ٧، ٨

وهذه علامة منظورة، ثريا من هم الآن "لورثة الحقيقيون" لوعده الإلهي
لإبراهيم عليه السلام

من الحقائق التاريخية أنه ما إن جاء لرسول "محمد" حتى دخلت "أرض

ليعد " في حيرة المسلمين الذين بسطوا سلطانهم عليها طوال القرون " الأربعة عشر الماضية " ولقد كان الغرض الأساسي لدخروب الصليبية انتزاع " أرض الميعاد " هذه من أيدي المسلمين ولا ريب في أنها ضاعت من أيدي المسلمين مؤقتاً " بعض الوقت " ولكنها سرعان ما أعيدت بعد فترة وجيزة وإذا كان قد قُدِّرَ له أن تصيب منهم فيما بعد فلن يستمر ذلك طويلاً وفاء بالوعد الذي وُعدَّ إبراهيم .

أما النبوءة التالية المعلنة بحىء الرسول الكريم " محمد " فقد جاءت على لسان " موسى " عليه السلام

أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك ، وأجعل كلامي في فمه . فيكلمهم بكل ما أوصيه به "

سفر تبة الاشرع ، الإصحاح ١٨ ١٨

وهذا واضح وصوح الشمس في رائعة النهار ! فإن أيما من الأنبياء لإسرائيليين الذين جاءوا بعد " موسى " في تعاقب مُتطاول ، حتى بحىء " يسوع " لم يدع أنه السى الموعود بهذه النبوءة . ولأسباب جلية لم يكن في مسور حلقاء " موسى " عليه السلام أن يكونوا مثله ، لأنهم ما جاءوا إلا لتنفيذ شريعته ليس غير . وكان أمر " النبوءة " معروفاً لدى الخاصة والعامة من اليهود الذين انتظروا جيلاً بعد جيل ، فظهر ربي مثل " موسى " ويؤيد هذا تأكيداً ذلك الحديث الذي دار بين " يوحنا المعمدان " ، وأولئك الذين وعدوا عليه لبأوه كما يروى سفر يوحنا .

" من أنت ؟ "

" المسيح أنت ؟ "

"قال: لست أنا..

"إيليا أنت..

"قال: لست أنا

"ذلك النبي أنت؟

"فأجاب: لا..!!

سفر يوحنا الإصحاح الأول ١٩، ٢٠، ٢١

وهذا يظهر في يقين أن اليهود كانوا يترقبون ظهور ثلاثة أنبياء مختلفين أوهم "إيليا" الذي اعتقدوا أنه سيظهر بشخصيته كره أخرى وذيهم "المسيح" وثالثهم "نبي" ذو شهرة عظيمة إلى درجة رأوا معها أنه من غير الضرورة بعته بأي وصف مُميز !! لقد كان قولهم: "دبت انسى" كافياً للدلالة على من يعنون وهكذا كان مدى الشيوع و ليدوع المسلمين حطمت بهما - بين اليهود - نُبوءة "موسى" فيما يتصل في ظهور نبي مثله

ولقد تحققت هذه السوءات في شخصي "يسوع ويوحنا" فقد أعلن أوهما أنه "المسيح" وأعلن ثانيهما أنه نُبعث في روح "إيليا" ولم يدع أحد منهما أنه النبي الموعود المماثل لموسى بل ولم يعترهما أحد من الذين آمنوا بهما - ذلك النبي الموعود..!!

وهكذا طُلّت نُبوءة سفر "تثنية لاشرعاع" حول نبي مثل موسى "غير محفقة بقدر ما يتعلق الأمر بالإسرائيليين

ورداً فلما صفحات تاريخ العالم لم يجد أي نبي غير "محمد" عليه الصلاة والسلام أعلن أنه نبي الذي تبعاً "موسى" بظهوره .

والواقع تؤيد هذا لتفسير، فقد كان "موسى" صاحب شريعة وكذلك

كان "محمد" صلوات الله وسلامه عليهما وليس بين الأنساء لإسرائيليين الذين حلفوا "موسى" بى واحد جاء شريعة حديده.. ومن هنا، كان لرسول الكريم "محمد" بوصفه النبي الوحيد الذى أعطى الناس شريعة، هو وحده المماثل لموسى يُصدق هذا لقول الله سبحانه فى قرآنه الكريم

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴾

"سورة الممل ١٥"

إن عبارة "أقيم لهم رسولاً من بين إخوانهم" لتى جاءت على لسان موسى عليه السلام، تلتقى صوّاً جديداً على هذه الخميعة إذ معنى ذلك أن السى الموعد لن يحىء من بين الإسرائيليين أنفسهم. بل من بين "إخوانهم" من ذرية "إسماعيل".

وهكذا، فإن نبوءة "تشية الاشرع" السالمة، تُشير بما لا يحتمل، إلى رسول الكريم محمد ﷺ الذى وجدت فيه مصداقها. ١١١
وثمة نبوءة أخرى، تقع عليها فى تعبيرات لا تقل وضوحاً وجلالاً وهى موجودة فى نفس السفر "تشية الاشرع" حيث يقول

"جاء الرب من سباء وأشرق لهم من شاعير. وبالألأ من جبل هارن.. وأتى من ربوات القدس".

والحقىء من "سباء" يشير إلى ظهور "موسى" .. والإنسان من 'ربوات القدس' يشير إلى ظهور "يسوع"، إذ تلقى هذين اسماء النبوة الإلهى فى هذين الموضعين. أما 'فردان' فمن المسلم به أنها الاسم القديم لأرض "الحجاز حيث ظهر "محمد" عيه الصلاة والسلام من بين جمعة "إسماعيل" ١

وليس ذلك فحسب بل إن ثمة نبوءة رابعة، نصص صراحة على أن أرض
النبي الموعود، هي بلاد العرب،
إذ يقول "سفر أشعيا"

"وحى من جهة بلاد العرب فى الوعر من بلاد العرب
تبيين يا قوافل الددانيين..

هانوا ماء للاقاة العطشان، يا سكان أرض تيماء،
وافوا الهارب بنخبره، فإنهم من أمام السيوف قد
هربوا.. من أمام السيف المسلول، ومن أمام نفوس
المشدود، ومن أمام شدة الحرب"

سفر إشعيا الإصحاح ٢١ ١٥، ١٤، ١٣

"إن لفظة بلاد العرب قبل كل شيء ذات معنى كفى ثم إن الإشارة
إلى من هاجر، تلقى صوةً جديدةً على المقصود بالنبوءة، فتاريخ العام لم يُدَوَّن غير
هجرة واحدة قُدِّر لها أن تكتسب أهمية الحدث الحاسم وهي هجرة الرسول من
مكة إلى المدينة حيث بدأ التحويل الإسلامى، رحيث استهل فصل جديد فى
تاريخ الإسلام..

أو على الأصح فى حصره العالم كله !!

وعبثاً تُقلب صفحات لتاريخ التماساً هجرة أخرى، تمحصت عن نتائج فى
مثل هذه لخطورة، وتعد الأثر فإذا أصفنا إلى هذا نص نبوءة الصريح على
"بلاد العرب" بوصفها مسقطاً لرأس السى الموعود، لوقف أمام دليل لا مراع فيه
حتى أن نبوءة المذكورة تشير إلى الرسول "محمد" ﷺ !

وهناك نبوءات أخرى كثيرة أطلقها الأنبياء اليهود مثل "داود، وسليمان،

صحيح إذ أن للسوء بقية يقول فيها "السيد يسوع" أقول لكم الحق إنه خير لكم أن أنطلق، لأنه إن لم أنطلق لا يأتاكم "المعرى".
والعهد الجديد يذكر أن "يوحنا" كان مُعَمِّمًا بروح القدس، ويذكر أن "المسيح" تلقى الروح القدس على شكل حمامة

وإذن، فمن تُشير هذه الكلمات إن لم أنطلق لا يأتاكم المعرَى ؟؟

إنها قطعاً لا تُشير إلى "الروح القدس" إذ من المتحديف أو يكاد، الذهاب إلى أن "يسوع" لم يكن مُروِّدًا بروح القدس!!

"ولا ريب في أن كلمتي "روح القدس" اللتين وردتا في السوء، إنما أريتا بهما أن تُشير إلى أن النبي لمسطر والموعود سيكون معاً مع "روح المقدسة" وقول السوء عن الرسول القدام "سمكت معكم إلى الأبد" يدل على أنه لن يكون بعد النبي الموعود بنى آخر جديد !!

وهذا هو ما يقوله القرآن الكريم عن "الرسول محمد"

﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ
وَحَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾

"سورة الأحراب ١٤٠"

وهذا أيضاً ما يقوه "القرآن الكريم" عن رسالة "النبي محمد" عليه صلاة ربنا وسلامه

﴿ لَيُّومَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي
وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾

"سورة مائدة ٣"

ثم إن النبي الموعود تصفه النبوة بأنه "روح الحق" والقرآن المنزل على "محمد" ﷺ يركبه بقوله الكريم: ﴿وَقَدْ جَاءَ الْحَقُّ﴾ وهكذا، فإن دعوات "إبراهيم، وإسماعيل" ونبوءات "موسى وعيسى" وغيرهما، قد تحققت في شخص الرسول الكريم 'محمد' عليه الصلاة والسلام إلى أبد الأبدين !!

إذن لم تكن شهادات الكبار من مكبرى أوروبا في القرنين الأخيرين، الشهادات لى سقفا فى فصلٍ سابقٍ طرفاً منها أقول، إنها لم تكن وحدها الإشارات الصوتية على طريق الدين عرفوا، والدين سيعرفون عظمة رسول كريم، وعظمة دينه ورسالته ودعوته!

بل كانت هناك، قبل قرونٍ مديدة وكثيرة أصواتٌ حق، رددت صدق تهتف بهذا انبى، البشير، والندير، والسراج الميرئى أيامه، وترفع أعلامه !
كانت هناك دعوات "إبراهيم وإسماعيل" ونبوءاتهم، وكانت هناك نبوءات "موسى وعيسى" .. وهى جميعاً تلقوها عن الله الذى يصطفى من رسله من يشاء

هى - إذن - كلمات الله فهل وعاه وحفظها وامثلها، أتباع الرسولين الكريمين؟؟ أم ارتأوا، فهم فى ربهم يترددون؟؟

الإن "المسيح عيسى بن مريم - عليهم السلام - لى ادى هؤلاء وأولئك.
"طوبى للذين يسمعون كلام الله، ويحفظونه" !!



الفصل الرابع

الرجل الحائمه في الطفل



درب يوم، وهو نائم تحت ظل شجرة وحيدة ویتيمة أقبيل عنه أصفاء من لداته وأترابه، يدعو به بعد أن أيقطوه من مرقده إلى المسير معهم لتتفرح على راسه هداك في شارع من شوارع مكة يُغنى على مزماره غناء يطرب به الولدان، وبدلاً من أن يهش انطبل لسا السعد، والدعوه المنهجة، هز رأسه في سب وإعراض، وقال لهم: "أنا لم أخلق لهذا". !!

ولعل إجابته هذه كانت نتيجة تجربة سائلة له هداك ليلة أو دات يوم ذهب سعى إلى سامر، فيه الناس يسْمرون. لكنه لم يكذب يلعنه ويأخذ مكانه بين المتحلقين، حتى راح في يوم عميق، استيقظ منه بعد حين ليحد الحكر لدى كان غاصاً ومكظاً قد حلا من رواده، والسُّمار قد رحلوا واب إلى دار عمه دون أن يسمع ما سمع الآخرون من زمر وطو. !!

تُرى هل طوُف "الطفل" بنحو طره حول هذا الذي حدث له؟ وهل ستتج منه أمراً؟

وهل كان المحصى الذي ألتصع في خاطره، ثاوياً أمام موقعه الرافض برعة أترابه، ووراء اعتداده الرفيق الذي عبّر عنه بكلماته التي كانت "رجلاً" وذلك حين قل: "أنا لم أخلق لهذا"؟.. !!
يبدو أن ذلك كان كذلك

فستبقى به، بعد أن اختاره الله رسولا، يسدعي من دكريات طفولته ديت المشهد الأول، بن ويُفسّره بأن الله سبحانه هو الذي ألقى عليه رسوم، حتى لا

يقتحم سمعه ما كان ثمة من عداء ماجر أو رمر لاؤ لم تُخلق به أدياء، كانتا على موعد مع صوت آخر، وكلمات آخر، سيتزل بها من لادن حكيم عليم شبح ملائكة "جبريل الأمين" عليه السلام..!!

تحت إحساس عجب، وبادر الطير، قال الطفل المارك كلماته المرصه والمصاة نور غيب لا يعرفه ولا يراه وإن كان يُحسه على نحو حلى قد كلفته المشرقة بوز ربها: "ألم أحلق لهذا"؟؟..
وقس هذه الطهوية كن ميلاد

ولن نقف طويلا أمام ما نقته الأسماء - وري الأساطير أيضا - عن الخوارق التي صاحبت مولده فقد حرت عادة للناس، ولا سيما رُواة أخبار العظماء من البشر أن يملأوا الفراغ المحيط بمهد الوليد بالكثير انكاثر من الخوارق والحدائث، ظائف أنهم بهذا يرفعون من قدر هذا العظيم أو ذلك وأنهم بهذا يُوثقونه مكانا علي مكان الذي لم يجيء كبقية الناس، بل جاء في موكب حافل من مقادير الله الذي اختاره على علم واجتهاد واصطفاه..

وأمام "محمد بن عبد الله" لا نجد إنسانا تحتاج عظمته إلى التماس حوارق تُزكّيها

فقداء، حين تكرر شخصية "لطفل" وتسمو وينسلم من يمين الله - وكث يديه يمين - رايه ابرسانه والدعوه، سجد آتد، أن معجزة "محمد" ﷺ بعد انفراد هي "محمد ذاته" !!

وإذن، فلا حاجة به إلى غُطور نُصمَّخ بها ميلاده فهو نفسه العطر، وهو العير أطيب العير..!

بيد أن هناك حدثا حليلا قد را من مولده - وهو حدير أن يُحسب في عدد الخوارق من غير تكلف أو اعتساف ونحن نذكره، ونقصي معه بعض ابوقت، لا

لشيء، لأنَّه ارتبط بحياة هذا الوليد بسرك - حتى لقد صار تزيخ مولده مقترناً
بذلك الحدث - فيقول التاريخ دائماً: "إنه وُلدَ عم الفيل"
ولعدم لفيل قصة تُروى، وعبرها - تاريخاً - صدقاً، وليست أسطورة
مخفها الخيال

و لواقعة - كما يروونها "ابن هشام" تلخص في أن "أرهة، الأشرم" الذي
كان وياً على ايمن لجاشي الحشمة أراد أن يصرف الناس عن الكعبة، فبنى
كيسة في أجل رية، وأروع معمار، ثم كتب إلى "سحاشي" يقول له إني قد
بنيت لله أيها الملك كيسة، م يُس مثبها لملك قبست، وستُ يُمُتو حتى
أصرف إليها جميع العرب !!

وترمت أسماء هذه كيسة، وكتب أبرهة إلى سحاشي، هذا انكتب اندي
فصح بوا أبرهة الحبيثة والصدية تراست هذه، لأناء إلى لعرب في "مكة".
وأمر واحد من أهله أمراً ورحل إلى "صنعاء" ليُصصى ما أمراً، ويُحز ما
بوى !!

وددت يوم، دخل راعي الكيسة التي بُيت من الرحام، المحرَّع، والحصارة
المفوشة بالذهب دخل كيسة أبرهة هذه فإد مسجراه بتلاان برائحه كرية إلى
حد لا يُطاق

ولا بد أنه أعلق مسجربه تماماً، حين راح يُحول في رحاب الكيسة حدثاً عن
مصدر هذه الرائحة الخبيثة، وأحيراً وحده
وصرب صدره بيده، وهو يقول لقد فعنها المكى، اللعين الذي تركته بيت
هن الليلة، رافة به وإشعق عليه ..

وم يشأ أن يربل الحث المكتوم حتى يُطلع "أرهة" على هذا الحدث !!
و حين علم أبرهة أن لما عل رجس من عرب مكة جاء ليُقدم إليه هذه

الهدية المتواضعة "!!" جرء وفاق على نوابه عدوانية تجاه الكعبة، وتجاه بيت الله
احرام

حين علم بهدد، قرر في لحظة عصب وسفاهة أن يعزو "مكة" ويهدم كعبتها
وبيتها الحرام!!

وفي طريقه وجيشه معه إلى مكة خرجت به قبائل من العرب، كانت تقيم
بأرض حثعم، تردّه عن الكعبة ولست الحرم، فهرمهم، وأسر شيوخها وعائلتها
وعند وصوله للطائف خرج له رجال "ثقيف" وعانقوه لقتل. لكنه
هرمهم، وانطلق كإعصار نحو "مكة". وعند مشارفها أرسل معوئاً حمداً رساله
إلى سيد البلد وشريفها، يخبره فيها أنه لم يأت حرب الدس إنما جاء مدم هذا
البيت. وليس به حاجة إلى ذمائم إذا لم يعرضوا به بحرب!!

وكان قد سبق رسوله هدد، جماعة من فرسان جيشه حيث انتهوا ما وجدوا
من مال وإبل. أصابوا فيها مائتي بعير لسيد فريش "عند المصطب من حثعم"
الذي دعاه أبرهة للقاءه

ولم يكذب يراه حتى أحله، وأعظمه، وأكرمه وسأله عن طريق ترجمانه أن
يطلب ما يشاء!!

وأحاب سيد فريش عن حاجته أن يرث المثلث للناس ما انتهه حدوده، ومنه
مائتا بعير له

وحين رأى دهش "أبرهة" من اهتمامه بإبل الآخرين، دون أن يذكر
ليست الحرم بكعبة، أظلم دمهشت هذه بكساته الماثورة "أما الأس، فهي لي وأما
البيت، فله رب يجمعه ويجمعه"!!..

ورجع "عند المصطب" إلى قومه، دعياً إليهم أن يخرجوا من "مكة" وأن
يتحرروا في شمع الحبل والشعاب ثم مضى إلى الكعبة وأمسك بحلقه ربه.

وراح ينادى ويأجى ربه الذى كان "الحَمَاء" يشرون به ويهخرون الأصنام إليه،
ويقول

لا همَّ إن العبد يمنع	رحله فامنع رحالك
وانصر على آل الصليب	وعابديه اليوم آلك
لا يغلبن صليبهم	ومحالهم أندًا معالك
إن كنت تاركهم وقتلتا	فأمر ما بدالك

قل ذلك "عند انطلق" سيد قريش، وجد "محمد" ﷺ الذى ستشهد هذه
الأيام ميلاده. ثم انطلق ومن معه من قريش إلى شعب الجبال فتحرّروا فيها،
ومستظرين أمر الله فيهم وفى بيته الحرام، وفى هذا الغزى اعبيد والأثيم !!
كان يتقدم جيش أبرهة فيل ضخمة يُثير الرعب والصرع فى الأنفس
والعرمات .

وما بث الفيل أن ترك فى هجر وحشوع، وراحوا يصرونه فى عُف نكى
يهصر غابى وأدخلوا المحار فى مرقة وأسفل بطنه وهو بأبى !! ثم أداروا
رأسه صوب اليمن فقام يُهرول.. ووحوه دحية نسم ويطلق مهرولاً ثم ناحبه
المشرق فكان أسرع هروية. ثم عادوا به صوب البيت الحرام فترك وأحلد إلى
الأرض وكأما شُدت قوائمه إنها سلاسل مؤثقة غلاط

وعجاة ملأ الفضاء فوق رؤوسهم بأفواح من طير أنابيل ترميهم بحجارة من
سحيل.. لا نصيب منهم أحداً إلا هلك، وسقط صريعاً فوق التراب والرمال !!
وولوا هاربين يتدرون الطريق التى جاءوا منها.

وامامهم قائدهم اتعس - أبرهة - الأشرم - الذى لم يك يبلغ "صنعاء" حتى
بقي بعد أيام

كانت المحبرة في مثل حجم حبات الحمص و لعدس، حيث فاهم
وأطاشت سهامهم، وحوكتهم إلى صرعى ومرضى هالكين
لمادا أفصا في ذكر هذه الواقعة؟؟

لأنها لإرهاص "الذي يختاره من بين ما قبل من إرهصات أخرى كئار
فصيا من الصديق التاريخي ما يشح كإعراض عنها، لا سيما، وعد توج
القرآن العظيم هذا الصديق التاريخي بإحدى سورته القصار، والمسمدة "سورة
الفيل" وذلك حين اصطفى الله "محمدًا" ﷺ رسولاً، وراح يُصره على عت
قومه وشأنهم، مذكرُ إياه نعمته لساقفة على أهله وبفقت المحقة لنعراة
الآثمين، فقال سبحانه في كتابه المنزل عليه

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ . أَلَمْ يَجْعَلْ
كَيْدَهُمْ فِي تَصْلِيلٍ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ .. تَرْمِيهِمْ
بِحِجَارٍ مِّن سِجِّينٍ فجعلهم كعصفٍ مأكُوفٍ ﴾
"سورة الفيل"

في شهر المحرم من ذلك العام، كانت غزوة أبرهة الماشلة
ويشاء الله فما بعد، أن يكون "المحرم" بالذات هو الشهر الذي يستهل به
لمسلمون عامهم، هجرى المتساقى عبر العصور والأزمان !!
وفي ذلك العام أنص - عام الفيل - استقبل شهر ربيع الأول، في لتاسع
سه، وقيل في الثاى عشر من أيامه، العُرُ والذى يوافق فى التاريخ الميلادى
العشرين من أبريل عام خمسائة و و حد وسعين استقبل - اس لشربة السار -
وظعنها العظيم !!

الطفل الذى سيقود طُفولته، الرحل بكاس فيه .!!، الطفل الذى سيقول

"الرجل الكامن فيه" أن لم أخلق هذا حتى حين بدعوه لدائمه وأترابه إلى هو
برى...!!

و لطف الذي لم يجد - حين يعد إلى الحياة - أب يُبديه في سرية الأطفال
وحتهم إلى الحنان، قائلاً: يا أبى!!

دلت أن أناه لقي ربه، وأمه حامل به وبعد ست سنوات من مولده سيفقد
أمه ثرى، هل أراد الله له هذا، اليتيم المكر ليدرك "الرجل الكامن في الظل" إلى
التجلى والظهور والهيمة؟؟

على أية حال، ولأحبار الوثيقة عن طفولته، ثرى فيه "رجوة" مبكرة ترداد
بما لا عهد للأطفال به - مهما سمو - من أناة، وحلم، وثرف، واتزان

وم كان حده "عبد المطلب" البعيد النظر، والناقب، المفكر، والحائر لفرد
كبير من نور البصيرة، وشفافية الروح ما كان ليحتفى به كل تلك الحفاوة، ولا
يعترب به كل ذلك الاعتزاز، ولا لبسطحبه إلى حيث يؤم من مجالس لسيادة
والأشرف، ولسانه يردد - دوماً - في زهو وشرف عبارته المأثورة "والله بيكوس
لاني هذا شأن"

أقول م كان "عبد المطلب" بينهم بحمده "محمد" ﷺ كل هذا الاهتمام
اندى لم يمنح معشاره أحداً من بقية الأحفاد، لولا ما كان يحمل لطفل الحميد من
محبي، لنحبة، وأماثر، لتموق، وملاح مستقل واعد وعظيم!!

وحس يرحل أحد الحاسي عن المدي، ويتنقل لطف إلى دار عمه "أنى
طالب" وكمالهته يجد العم لا يقل عن الجدة الرحن في افتتانه بشخصية ابن
أبيه، واحترامه "الرجل الكامن فيه"!!

ونصح هذه الرحولة الكامة كمُؤن المء في لعود الأحصر، ولسرية
كذلك تحول لطف سريع إلى فتى يملأ الأعين جماله، والأفئدة حلاله!! فكيف

تصور هذا الفتى الدُّراح الماحد ؟؟

لنشاهد لأن الصورة التي رسمها بقلمه "أمير على" العالم الهندي لمسلم في كتابه القيم: "روح الإسلام":

يقول: "ستطع أن تصور ذلك الفتى بعينه الحائرتين، مُشرقاً، مفكرًا، مهمومًا، وكأنه يستشف حجب الغيب، أو تنفتح له نافذة ضيقة على مهام المستقبل

تصوره، وهو يروح ويعدو في رفق بر أفراد عائلة عمه المتواضع، أو يتجه إلى الصحراء، فيملأ رجهه في جمال وجه الطبيعة.

كان ذلك الفتى رقيق الحاشية، حلو الشمائل، مُرهف الحس تجاه آلام الناس وكن - ابن الصحراء - هذا، انظر الصمير محبوباً لدى كل من يتصل بهم ولدى عمه على الخصوص، إذ شأين "أبي طالب" و "محمد" ﷺ دست العطف الأبوي الخميم الذي لم يذكر التاريخ به مثيلاً..

"نقد شق" الملائكة صدره، وملأوا بالنور قلبه..

كان لفتى المأمول ميمون لنقية، سعيد الطابع.. سعدت بطالعه وهو رضع - مرصعته "حليمة السعدية" - سعدت به سعادة عمرة، صورتها في شهادة عاطفة وكلمات صادقة .

وسعدت به قريش، وهو فتى عريز وبصير حين كان عمه يستسقى به فصل الله وعت السماء ونصغ لشاهد عن أي أحد تلك المشاهد، فقل "قدمت مكة وهم في قحط فقالت قريش يا أبا طالب، أقحط الوادي، وأحذب لعيال، فهلُم فاستسق بنا فحرح أبو طالب ومعه علام وجهه كانه شمس تجلبت عنه سحابة قتما وحوله أعيلمه فأخذه أبو طالب، وألصق بكعبة ظهره ولاد بأصبعه الغلام.. وما في السماء حينئذ قرعة .

وفحاة أقل السحب من هن ومن هنك. حتى أغدق واعدوؤدق.
وانمجر الوادي. وأحصب النادى والبادى '

وهكذا كان الغلام الصغير "محمد" ﷺ كما سيصفه عمه "أبو طالب" فيما
بعد، فيقول عنه :

وأبيض، يستمقى العمام بوجهه

شال اليتامى عصمة للأرامل

إذا كنت الطمولة - أية طمولة - تحمى فى بطنها المستير، وخشها المستكن،
ويدور شئونها ونمائها، م يومئ إلى مستقبلها عبر تطور ثواتٍ ومحكوم، فإن طمولة
"محمد" ﷺ ويدهته، لم يكونا إلا "طليعة" صادقة ومُشرقة، لرجولته الوافدة،
ولواعده

كما ستكون "رجولته" بشيراً صادقاً ومالئاً لرسائله المقبلة - حيث يصطفى
الله من رسله من يشاء - وحث يكتم فى "محمد الرجل" - "محمد الرسول"
عليه صلوات الله وسلامه.

* * *

لقد كانت أم 'الإسكندر الأكبر' تحتضنه دائماً بهذه الدعوة العجبة "اللهم
اررق ولدى" حفصاً "تُسحر له عقول الرجال ولا تررقه" عقلاً "يُسخر لخطوط
الرجال..!

وهي دعوه كما نراها مفرطة فى الأدائية !! ومع هذا فكأنما صادفت مرة أو
مرتين بشاً مفتوحاً من أبواب السماء فقد ررق أبى الإسكندر... فعلاً - حط
سُحرب له عقول الرجال !!.

ولكن، ماذا تُفيد الشريعة من الباحثين عن حظوظهم والراكضين وراء

طموحهم الشخصي، ومجدهم المرغوب؟!

عداء، يحىء "عمد" ﷺ لنجد الحياة فيه حظها وعقلها مع وتجد فيه
دُعائها المستجاب الذي طالما قرعت به أبواب السماء، وألحت به على دى
العظمة، والخلال، والكبرياء كي يُعجل لها بالنقد الذي سيكون يوم يحىء
أحلامها ملء يقينه

وأشجى أطياف شحونه..

وحُلُول مشكلاتها، مطوياتٍ بيمينه..!!



الفصل الخامس

الرسول الكاسية فاعلموا!

4

4

.

21

21

:

3

.

4

.

21

21

22

23

24

25

26

27

28

29

30

31

32

33

34

35

36

ما كان يدري ما الكتاب ولا الإيمان..

ولم يكن صطحاء الله له، قد وضع في نفسه، ولا استبان له بصورة من صور
اليقين أنه مُدَّخِر رسالة عظمى سيختم الله بها الدين والمرسلين
بيد أنه كان يملث بحساسة عميقة بأن أمامه دوراً كبيراً ينتظره على شوق
مادا سيكون هذا الدرر؟؟
مصلحاً ؟ قائداً ؟ زعيماً ؟

ليس يدري بعد . لكنه يدرك تماماً أنه لم يخلو لما خلق له لكفة من الناس!!
أقل من يقل من قبل وهو طفل صغير لأثره حين دَعَّوه إلى هو سريء " أناس
أخلق لهذا " ؟..!

* * *

لقد مُبِحَ من السَّجَايا المارهة، ومن حميد الخصال، ومن رفعة النفس، وظهر
لسلوك، ونقاء الضمير، ما جعله مَهْوًى أفئدة قومه جميعاً، وموضع احترامهم،
حتى عقدوا له إمارة اصدق والأمانة، فلقَّبوه بـ " الصادق الأمين " كان يسلك
سلوك المرسلين، ذوق، أو قل أن يكون واحداً منهم.

وكانت أيام حياته، وسنوات عمره نسيجاً من الور !! لم يكن يدري أن ثمة
إرادة عليا تحدُّو خطاه، وترعى مسيرته، وتقوِّده في الطريق الذي ينتقى في نهايه
بما أعدته له هذه الإرادة من دُور يصي به من حديد طلّمت الحياة !!

لم يكن يرى " الرسوم " الكامن في " الرجل " لكن وعيه، وقنه، كانا في

حالة "حُصُور" كامل تحاه مأساة الإنسان!!

ولقد تمثلت هذه المأساة في الكثير من حماقات الناس، وفي استبعاد الأقواء الصغرى، وامتثال الأعياء المقراء وفي الأعراف العاسدة التي كانت تجعل العلم هو القاعدة، أما العدل فتأذى رشا وفي التقاليد العقيمة، والرؤى العقيمة، والجهالات الموروثة، والسلوك الملتاث !!

وكان أكثر ما يُقلقه ويُؤزقه، تلك الصغرى المحلقة حول حجارة مرصوفة تُشكل أصناماً صُماً، ونُكُماً، وعُمياً ﴿وَأَن يَسْأَلَهُمُ الَّذِينَ تَابُوا شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُونَ مِنْهَا صِغْفُ الظَّالِمِينَ وَالْمُظْلُومِينَ﴾ !!..

* * *

أبى انوحيد بنى هتف به من قرون بعيدة، وفي هذا البلد بالذات - مكة - أبو الأسياء، وحليل الرحمن "إبراهيم" عليه لسلام ١٩

لقد هتف من قديم بالحقيقة التي أسفى بها بعد طول بحث، وإيمان بطر، وفرة في السماء، وتقلب بين سحوم وياتها والكون ومعجزاته هتف في أعماق قلبه الذكي ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلدِّينِ فَطَرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ حَنِيفٌ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.. ولقد تركها نافية في عقبه، مذبذبة في أفق الجزيرة الواسعة فأين ذهبت هذه الخيفة السَّحمة، والمؤمة، والموحدة ؟

هل ضاعت، أو تاهت في رحام الوثنية والشرك ١٩

لقد كان هناك هُدة برعون بن الحس والحسن، نلوحون برابة "إبراهيم" ويذبحون بأصوات عالية ما كان قد تغشى حياء قريش في مكة، ولعرب كلهم في شبه الجزيرة العربية من وثنية وشرك

كان منهم من سبق الرسول الكريم ﷺ بعشرات السنين، وربما بمئاتها
ومنهم من كان إرهاباً بين يدي حجر اصطالم القريب
فمن الأولين.. مؤيد بن عامر اصطلقى يدى جهر بعقيدته انبعث، ويوم
الجزء

وعامر بن الظرب الذى كان يقول لقومه.

"إبنى ما رأيت شيئاً قط حق نفسه ولا رأيت موصوعاً إلا مصوعاً ولا
جائناً إلا داهياً، ولو كان لدى يميت الناس نداء، لكان الذى يحييهم الدواء!"
وكان منهم: استلمس بن أمة الكنيس، الذى كان متوسط القرشيين عند
الكعبة التى حُثت حولها الأصنام وتَصَدَّحَ منهم بقوله: "أطعموني ترشُدُوا لقد
اتَّحدتم آهة شئى.. وإن الله ربكم، ورب ما تعدون"
وكان من بينهم "رهير بن أبى سلمى" يمسك أوراق الشجيرات التى هُتِرت
حصرة، بعد أن كانت هامة ياسة ويقول: "لولا أن تُسسى العرب لأمنت أن
يدى أحيك بعد جفاف، سيحيى العظام وهى رميم!"

كان هؤلاء، وأحرون معهم، يستشرفون الحقيقة، ويخالعونهم بمصائر
مُصاة. لكنهم لم يظفروا بالأصطفاء ولا بالرسالة اللذين سيظهر بهما "محمد"
ﷺ القادم بعد حين وكذلت كان من أعماطهم الرفيعة، نصر كريم ظهروا قبيل العثة
المحمدية. من كان منهم من عاصر الرسول قبل بعثته فهذا "أبو قيس بن أسس"
اعتزل قريشاً وأصبها واصطاع له فى داره مسجداً صغيراً، لا يدخله طمث
ولا جنب، وقال: أعبد رب إبراهيم

ولقد عاش حتى بُعث الرسول ﷺ فأسلم معه.

وكان هناك ثلاثة حُرور من هؤلاء "الخنفاء" اسابت من أفئدتهم البصرعة
كلمت لتوحيد كائسهم الربيع وسط حصير الوثنى المشوب!! وكأما كانوا

جميعاً سابقون منهم واللاحقون - إرهاباً بالدين المقبل، وبالرسول القادم لذي
سيعيد راية الحق إلى مكانها، ويسوى بالوثنية التراب !!

(راجع كتابنا "خفاء الرسول")

لم يدع أحد من هؤلاء، ولا من أولئك برسالة فهل سيدعيهم "محمد" حين
يجيء !!

* * *

هذا الرجل بدأ "مكة" عبيرُهُ . وأينما سارت به خطاه فالخير، والحق،
والهدى في مكانه!!

وإنه لحمل ضميراً يميز به بين الحق والباطل، وبين الهدى والضلal
ضميراً مُصْفاً، ومُصَيِّئاً يبعث فيه إحساساً غير مألوف . إحساساً سور غير منظور
يصيء عقله، وقلبه، ورؤاه. !!

ويُرسل دكرته إلى سرات العمر السالفة بعيدها وقريبها قاصيها وديها فلا
يكاد شيء ما يبدية إليه . إذ أن حياته الظاهرة واسطورة، م تكن أبامه تطوى
على مشاهد غير مألوفة في حدود ما استمسك به، وعُرف عنه من طهرٍ ونسك،
وأمانة وصدق..

ولكن لعلهُ استأنى وترقف مع ذلك المشهد بالشم حين صبح عمه "أب
طالب" في إحدى رحلاته التجرية . ذلك أنه حين سرن تركب بـ "نصرى"
وهي انتى تسمى الآن "حُراب" اتجهوا لزيارة "بحري لرهب" الذي كان
يتعبد في صومعة من صومع الباسكين، ويقصى بها حياته في ظل ما تُفيئه على
لعابدين سكية الإيمان وُردُ اليقين

وقريباً من صومعه، برلو، تحت شجرة ينشأون طلائها ولعل طبعها الظلم لم
يتسع لهم جميعاً، فاستأجر الفتى الحدين إلى حوافيه، مُفسحاً مكاناً لآبائه الكبار. !!

وشيء ما شد نصر "بحيرى الراهب" إلى الغلام لوضيء والنصيء، برأى عجباً رأى أغصان لشجرة وقد تَهَضَّرَتْ، وتدلَّت على "محمد" ﷺ حتى عطته بطلها..!! ورأى "بحيرى" أن يسرُّ أعوار لعلام بعدم رأى من عجب أمره، فدعى رحال اتركب إلى وليمة وطعم وحين تحلَّقوا حول مائدته افتقد لعلام الأثير لديه والذى من أحله استصافهم، حتى يجد فرصة سانحة ليندو أمره، ويستنظر خبره..!!

هناك نال لهم لا أريد أن يتحلف أحد مكم عن طعمى فأجابوه ما تحلف عث أحد إلاّ علام، هو أحدث القوم ساء، ولقد حلمناه في رحالنا قل لا تفعلوا، ادعوه ليحضر لضعف معكم..!!

وبدع "ابن هشام" أو "بن سحاق" أو هما مع يروين لنا بقية لسأ العظيم

" فقال رحل من اتركب والابل والعُرى إن كان لَنُؤْمَ به أن يحلف ابن عبد الله بن عبد المطلب عن طعم من ييسا. ثم قام إليه وحنصنه، وأحسسه مع لقوم

" فلما رآه "بحيرى" جعل يدحفظه لحظاً شديداً، ويظهر في أشياء في جسده، قد كن يحدها عنده من صفتة حتى إذا فرغ القوم من طعامهم، وتفرقوا، قام إليه "بحيرى" فقال له يا غلام، أسألك بحق الابل والعُرى، لا ما أحررتى عما أسألك عنه؟ ورى، ستحلمه "بحيرى" باللات ولُعرى، لأنه سمع بقرشيين يحلمون به، أو لأنه أراد أن يخبر أعماقه فأجابته "محمد" لا تسألنى باللات والعُرى، فوالله ما أبصتُ شيئاً قط بغصهم..!!

" فقال له - بحيرى - فبالله إلاّ أحررتنى عم أسألك عنه فأجبهه الغلام على عم يد لك " فجعل يسأله عن أشياء من حابه في نومه، وهيتته وصوره

فجعل يحبره، فوافق ذلك ما عند "بحيرى" من صفته ثم نظر إلى ظهره فرأى
حاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التى عنده !!

" فلما فرغ أقبل على عمه "أبى طالب" وسأله ما هذا الغلام سئ؟؟
قال: اسى

قال يحيرتى ما هو بابنك وما ينمى هذا الغلام أن يكون أبوه حياً !!
قال: فإنه ابن أحمى.

قال: فما فعل أبوه؟؟

قال مات، وأمه حُلّى به .

قال يحيرى: صدقت، فارجع بنا أخيك إلى بلده واحذر عليه "يهود" !!،
فوالله لئن رأوه، وعرفوا ما عرفت لينغته شرًا فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن
عظيم..!!

* * *

نقول لعل هذا المشهد الذى لا يجد العمل الشديد أى حرج فى تقبّله،
كحقيقة تاريخية، روى التاريخ منها الكثير، ولا تراه نظائرها تصدع وتطهر، حتى
فى عصرنا هذا، مُرهضة بقدوم عظيم، ومُبشرة بمقدم رائد حديد من رُواد الحياه
الأفذاذ. أقول: لعل هذه الواقعة كنت - أكثر من سواها - تدور عليها حواطر
"محمد" الرّحل، فتوحى إليه بأنه رُبما كن فى انتظاره مهمّ جليلة، ودور عظيم

وعلى أنه حال، فقد كان الاحترام لمريد الذى يحمله له قومه يتامى كل
يوم، ويدعوه إلى التحدث مع نفسه فى حلواته لا سيما تلك التى كان يقصصها
وحيدًا فى غمر حراء...!!

ولا يحسب أنه يسى، أو يتناسى، ذلك اليوم الذى يتلأأ كالمع ذرة فى تاريخه
كرحل - قبل أن يصبح الرّحل رسولاً

فحين كان يحاز الخامسة والثلاثين من عمره المنجّد، اجتمعت "فريش" لتحديد بناء الكعبة - إذ كانت يومذاك "رَصْمًا" أي حجارة رصّت بعضها فوق بعض من غير ملاط يُمسكها

وقد تردّد رعماء فريش طويلاً أمام هدمها لسائها من حديد وارتعدت فرائصهم، وهم يقتربون منها بمحاولهم لبدأوا عملية الهدم، حتى صاح فيهم أمثلهم طريقة، وأشجعهم رُوحاً، وتقدم بمحولة بادئاً الهدم، حتى إذا رأى الآخرو أنه لم يَنْسسه سوء شجعوا، ونادوا لإعجار مهمتهم المائلة.. ووصلوا بالساء إلى موضع الركن، فاختموا فيه

كل قبيله تريد أن تفرد برفعه ووضع في مكانه

واشجر النزاع، واحتدم الصراع . وذهبت أكثرية هذه القبائل إلى أحيائهم، ثم عادت مُدحجة بأسلحتهم وحارب قبيلتان بحصّة مخلوعة دمًا، ودخلوا أديهم فيها مُتواثقين ومعهدين على أن يفردوا برفع "الحجر الأسود" إلى مكانه، أو فليموتوا، دون ذلك . وسُمّوا ذلك اليوم "لَعَقَةُ الدّم" !!

سُت انصرع خمس ليال. ثم عادوا فاجتمعوا في المسجد الحرام، والأرمة لم تُسَرَّ بعد

وبهض سهم "أبو أمية بن المغيرة" من سى محروم وكان أكبر انقرشيين سناً واقترح عليهم أن يُحكموا أول دخل إلى المسجد !!

ومرت دقائق صامتة، والأبصار معلقة بالأبواب تُرى من سيكون هذا الذي ستحتد به المقادير لحسم هذا الخلاف المندر والرهيب ؟!

وفجأة أطل "محمد" ﷺ وبوره يسعى بين يديه وصاح المحتميين "هد الأيمن. هذا محمد قد رضاء حكماً" !!

و سناهم الخبز، وكذب قد ترامت إليه من قبل أحجار السراخ الذي طبل
مَشْبُوبًا خمسة أيام ولم يفكر طويلاً فيما يصنع.. فقد تقدمت يديته المشرقة
بأسعد الحلول

دعا المجتمعين أن يأتوه بثوب فأتوه بثوب. فأتى به، وأخذ "الحجر"
بيمينه، فوضعه في الثوب، ثم قال: تتأحد كل قبيلة بطرف من أطراف هــ
لثوب، ففعلوا. ثم قال: ارفعوه إلى أعلى، فرفعوه حتى إذا بلغوا به موضعه،
تناوله بيديه الكرمتين، وبوأه مكانه، ثم بسى عليه !!

إذا قلب إن "الرسول" ﷺ، فكمن في "الرحل" كان نطل هــ الموقف، لم
يكن عن الحقيقة معرضين. ولكم يسعدنا أن نقل هنا آياتاً عذبة من الشعر
لشاهد عيان رأى بعينه حلال الموقف وسأله - ذلكم هو "هيرة بن أبي وهب
المحزومي" فلتصغ إليه:-

تشاجرت الأحياء في فصل خُطة

جرت بينهم بالنجس من بعد أسعد

تلاقوا بها بالبغض بعد مودة

وأوقد ناراً بينهم شرُّ موقد

فلما رأينا الأمر، قد جدَّ جدُّه

ولم يبق شيء غير سَلِّ المهـد

رصينا، وقتلنا: العدل أول طالع

يجيء من البطحاء من غير موعد

فما جانا هذا الأمين محمد

فقلنا: رضى بالأمين مُحَمَّداً

هذه رحل كانت الأقدار تعدّه، وتخصّه بحمل تبعات الغد.. الغد الذي لن يسهى بين غشيّة وضحاها بل سيتمدّ ويطوى حتى يرث الله الأرض ومن عليها!!

هذا هو "محمد" ﷺ يعرف في ليلء وفهم عن معتقدات قومه، باطلة اهازلة. ويتردد إلى عار هناك في أعماق الجبل، يُصبّ فيه إلى همس الكور كله، وإلى رؤاه المُجسّحة في ملكوت الله. ويتحدث مع نفسه ومع أشواقه حديثاً مُعطرًا بالذكاء، وبالوعى الباطنى، والإلهى المضاء..!!

ثم يعادر لعار إلى الحياة الصالحة، مُؤدّيّ فيها دوره وعمله في طهر وعناء. أكانت أحاسسه ومشاعره على موعد مع أمر ما، قد اقتربت أيامه، وتهيأت أعلامه؟؟ أكان "الرسول" ﷺ الكامل فى "الرحل" على وسك أن يُؤذن بالظهور؟

هل تنهى دور الإعداد والتهيئة، وأقبل دور الإمداد والرسالة الخالصة؟^{١٤} ها هو ذا يكثر من اللجوء إلى عذراء الحبيب وكأنه على موعد هناك مع مضاجعة لا يعرف هويتها، ولا يدرك حقيقتها!! بل كل شىء فى داخله ينوّهح وينالق وروحُه الطنّعة تتوشب بين جوانحه ويبدو قلبه الكبير، وكأنه يريد أن يطير..!

وسمعه اندهف المتحضر، قد أعرض عن الكلمات والإشارات، وأرصد جميع موافده إلا نافذة واحدة قُرب منه وألقى إليها نفسه فى تجدد وتبشّر، وبصات وإصعاء.. لكأنه على موعد مع كدمات سيتلقاها من الله..!!

هذا، في داخل الغار.

أما حارجه، فقد بدت الحياة وكأنها تحولت بكل ما فيها إلى مهر حر حافل

ورائع تصدح من خلاله، وتهف

- أهلاً بمقدم الرسول ﷺ .. !



الفصل السادس

وجاء يوم الشروق



ليس من مهمّ هذا الكتاب السعة التمهيدية حياة الرسول ﷺ، إذ أن ذلك
مهمة المؤرخ وأسفار التاريخ

وأن هذا لا أؤرّج الحياة العظيمة الخاتم الأنبياء وإمام المرسلين إنما أحاول هي
تواضع وحياء أن أقرب من مطالع السور الماثلة في نألقات هذه الحياة وفي
سُموقها وجلالها..

أحاول أن أجمع الذين سيطالهم هذه الصفحات بالحقيقة المسمرة كصوء
النهار (لهنقة صدق "محمد" ﷺ وصدق رسالته وانتي تسادى لبس - جميع
الناس - بصوت صاعد وظهر إن "محمدًا" ﷺ رسول الله إلى الناس كافة . وإن
لصدق والحقيقة لا يجدان نفسيهما، ولا يحققان دائيئهما، بمثل ما يجدان وم
يُحققان في نبأ هذا الرسول الصادق والأمين..!!

* * *

ولقد مررنا سريعًا بإلهامات طُفولته وبقِصته وبرُحولة شبابه، واستهلان
رجولته حيث راينا أيام اليافع، ولشب، والرجُل فيه تتقل فيهِ وبها أطوار
حياته طاهرة وباهرة وعظيمة !! حياة تخلص سريرتها لمسكنة برُؤى طموحة
فضلة، وهيام بالإسهام بلا حدود في إرجاع الخلق إلى الرب . ووضع لأصا
ولأورار عن أسرار الخيارات ولتأثير، والمتحيطين في الظلمات، تنتظرهم فجاءة
النقمة، وشقوة المصير..!!

من أجل ذلك كان يأوى إلى "غار حراء" ليتأمل وليهيء سمعه، وقلبه قبل سمعه، ليلقى بصوت الخالد - صوت الحقيقة، وهدى، والخير، الذى لم يخب عن دينا الناس لحظة - يُلهم الرُّؤاد الذين يسرون فى الدروب غير المطروقة مُمهدين الطريق، وعارسين المنبع أصم الشربة السائرة، والمسافرة

يبد أن لصوت الخالد هذه المرة، كان أعمق وأرثق من كل ما سمع الرواد من أصوات، وما تُلهم من إلهامات - أحسن - هذه المرة يحلف رنية، وتتمر هوئته.. فهو "وحى" لا "إلهام" وهو "جريل" يتحدث. وليست "حواطر" تتردد - لقد ان للذى طال انتظاره، وطال قرعته لأبواب، وطال تقلب وجهه فى السماء.. أن له أن يعرف أنه هو.. وليس أحداً سواه!!

هو، هو المذخر لحمل آخر كلمات السماء إلى الأرض !!
وهو، هو - الذى بشرت به الكُتب، ونحذت عن قرب مجئه الأبياء،
والخفاء !!

وهو، هو - الذى سيحمل فوق كاهله الوثيق تعاب دين ورسالة، لئلا إلى نومه وحدهم - كما كان شأن لأنبياء من قبله - بل إلى البشرية كلها ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ بِتَكْمٍ جَمِيعٍ﴾

وهو، هو - من سيحمل لنور الذى صلب بحث عنه فى توق عظيم وسعى
ليه فى شوق حمم..!!

وبعبارة واحدة - هو "محمد" رسول الله وسيره وشيره . والداعى إليه بإدنه وسراحه المنير !! فكيف تمت كلمة الله، وكيف - فى يوم شروق عظيم - تلقى كلمة الله، ووثيقة التكليف!!؟

من قل، كنت الرؤيا الصادقة عملاً يومه بالبشرىات فكان لا يرى رؤيا إلا صدقت وتحققت كسلاح الصباح وصوت الصبحى نكهة اليوم وفى السنة التاسعة بعد الستائة للملاد. وفى اهزيح الأخير من إحدى ليلى دمصار، اتقى أمين الأرض بأمين السماء !! وجاءه الملك...!!

لن تستطيع الأقلام أن تصوّر أو تتصور حقيقة ولا هوية ولا أسرار تلك اللعطات التى شهدت - لأول مرة - لقاء سفير السماء بالأمين "محمد" الذى سبصبح بدءاً منها ومنه "رسول رب العالمين"

فلجأ إليها إلى الحوار المثير لندى دار بين الملك والرسول فى مثل سرعة لصوت وهو حوار يرويه الرسول - عليه السلام - بنفسه قائلاً

" فقال: اقرأ قلت ما أنا بقارئ فأخذنى فغطى - صممه بقوة واعتصم - حتى بلغ سى الجهد!! ثم أرسلنى - تركنى - وقال اقرأ قلت ما أنا بقارئ فأخذنى وغطى الثانية!! ثم قال: اقرأ.. قلت: ما أنا بقارئ فأخذنى وغطى الثالثة!! ثم أرسلنى، وقال اقرأ

قلت: وما أقرأ؟؟ فقال

﴿ أَقْرَأْ بِسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ

خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ

أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ..

الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ

عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ . ﴿

أهلّ - دن - يوم الشروق والاصططام ودقت ساعاته الصادحة، وتُشربائه
المابحة ١٠

* * *

والآن، أرحع وانقارئ معي إلى كلمات كنت قد أودعْتُها كتبي "عشرة أيام
في حياة الرسول" الذي ظهرت طبعته الأولى في مارس عام ألف وتسعمائة
وسبعين .

أرحع إليها، لأنها لا تزال، وستظل تُمثل "رؤيتي" ونفسي، واسهاري يوم
الوحي العظيم.

أعلنت السماء إذن مُحترها ومُصططها، ندي ظل ترقُّه وانتظره صدقت
إذن كلمات الكتُب، وشوأت الحنفاء والقديسين.

وها هو ذا، في مكان معزل عن صحب الحياة، في أعمق غور لأعلى حس،
حيث أوى إلى هلك ناسكاً ظهوراً يصرع إلى ربه كي يدله عليه، يهبط عليه سمير
السماء في حلاله، حاملاً نور الله إلى لمتتل الأواب، وحملاً إلى انشربة وثيقة
رُشد جديد سيكون إمامها فيه وأستاذ ومعلمها هذا الإنسان الودود، حميد
إبراهيم، ودعوته وبُشراه.. ١

نرى لو لم يكن يوم الوحي هذا، بين أيام الدنيا، فأى مصير كنت الشربة
ستلاقه..؟؟

إن لكلمة التي استهل بها الوحي بحواه مع رسول الله ﷺ لتقديم لنا أروع
وأجمع.. وأوجز وأبحر جواب

فإد كان العم، حوهر كل حصارة أقامها الإنسان على ظهر أرضه،
وكوكبه

ورداً كان الإسلام - فيما بعد - قد قدّم للدنيا حصارة متكاملة تدبرها كل الحضارات التي جاءت بعده، حتى تلك التي استهدفتها شأبها وعدواها.

إذا كان ذلك كذلك فإننا نستطيع أن ندرك في يسر نور المصير الذي كانت البشرية ستلقاه وتتردّى فيه لو لم يكن يوم الوحي يوم "اقرأ باسم ربك"، يوم "القرآن" و"محمد" و"الإسلام" من أيامها، بل على رأس أيامها

كذلك نستطيع أن ندرك في يسر، لماذا كنت أولى كلمات الله إلى رسوله "اقرأ"

م تكرر "صلّ" و"صمّ"، ولا "تعبد" بل كانت: اقرأ..

هذه "الكلمة" التي خصت جوهر الإسلام ومستقبله..

فهو لن يكون دين تكريس ديني فحسب، بل ولا دين سلوك فحسب، إنما هو قبل ذلك وهو ذلك 'دين حصارة'. جاء يستنق عِلماً حديداً تحل ما تحمل كلمت "عالم" و"جديد" من معنى ودلالة

ولكى يستيقن الناس عبر الزمان كله أن هذه الحصارة المقبلة هي عطاء السماء، فقد اختر أستاذها ونايها ذلك الذي لا عهد له من قل قلم ولا يكتب.. ذلك أنه لن يكون محترعاً لهذا الدين وحصارته. إنما هو مُلغ عن الله.. ناقل عطايها من السماء إلى الأرض ومن ثم سيكون معه من المقلدة ما يغير به كيمياء الرمن، وكيمياء الشر وكيمياء الحياة..!

ومن يدري.. فلعل الصمات الثلاث الشديدة التي ضمّه المثلث بها حتى كادت أصلاعه تنسحق تحت ضغطها، واندى وصفها الرسول في حديث آخر قذلاً: "فقطى حتى ظننت أنه الموت".

أقول لعلها كانت إحراء مقصوداً لتغيير كيمياء جسده هو - وتغيير كيمياء

روحه هو - عليه أفصر، لصلاة وأركي السلام - حتى يتسع جسده وروحه لدقوة
 الحديدة التي أفرغت فيهما ليحتملا عنه الرسالة وهو ان الصداق
 ولعلّ انقطاع الوحي عنه بعد هذا بقاء الأول لفترة بلغت سنوات ثلاثاً،
 كان إجراء ضرورياً حتى يتمكن الحسد والروح معاً من استيعاب القوة الإلهية
 الحديدة التي أفرعها الوحي فيهما، وحتى تتكيف كيمياء طبيعته البشرية بذلك
 المدد العلوي الذي نقلته إليه الصمدات الثلاث الصاعقة التي احتواه بها ملك
 الله جبريل.

والآن، لنمصر مع "يوم الوحي" في بيته مجيدة.

ب. لرسول يغادر الغر مسرعاً تغذ الرهبة خطه، يسائل نفسه ما هذا الذي
 حدث فجأة وعلى غير انتظار؟ ويلتفت وراءه وأمامه، وعن يمينه وعن شماله،
 فيطمئن إلى أنه وحده، وليس ثمة من يتبعه - بيد أن الأفق يلمع فجأة بصياء
 عجيب، ويرفع الرسول ﷺ رأسه ليرى - هذا هو هالك يملأ الأفق في حلال
 مهيب - نفس الملك الذي كان من لحظات يملأ عليه عار حراء، وتمحور الوعدة
 العذبة جسده من حديد، ولا يدرى أياد يسير، فتتسبقت قدماه بآرص،
 وتستقبل أدناه هذا البدء:

"يا محمد أنت رسول الله، وأنا حريز"

فيعشاه من وقع انشهد من يعشاه، وتردد قدماه انصفاً بموطئهما كأبهما من
 الأرض بعص غراسها !!

ويغيب لصوء، ويغيب معه مشهد الملك، ويستأنف الرسول سيره مقتلاً من
 ارمال خطاه

ولا يكاد يدمع داره، ويلقى روحه "حديجة" حتى يلقى نفسه في حجرها

وبين يديها، وكل جسده يرتجف كالزلزال

وتصغى "حديجة" لكلماته المترددة مع أنفاسه الوجيلة يصف لها ما حدث
تدب كأنها تراه

وتهتف "حديجة" وقد التمع وجهها الخليل تحت ضوء الأمل و يقي
"أبشر يا ابن عمّ، وثبت

فوالدى نفس خديجة بيده، إني لأرجو أن تكون نبى هذه الأمة"
يقول لها الرسول ﷺ، وقد أخذ الرّوع يُر الله، والسكينة تقرب منه
"لقد حشيت على نبي"

وتحييه خديجة.

"كلا وأبشر فوالله لا يحريك الله أدا، إنك تتصل للرحم، وتصدق
الحديث، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الصنف، وتعين على نوائب
الحق"

ثم تعش "حديجة" التجربة لى عاشها الرسول فى العار . كنت بعيدة عن
هذا مدى حدث فحاة، وتنتهى فحاة فى خطات، كأنها قرن من الرمان !!
من أجل هذا، كاب فرصتها مُهياة لكى تقول كلماتها هذه فى هدوء
وحره الله حير فقد كان موقفها ذاك حديراً عن اختارها انقدر على علم
لتكون قرية هذا الرسول ﷺ . !!

نرى بو أن "عمد" ﷺ كان يطمح إلى عهد النبوة، ويعمل بلوع هد، المجد
بوسائل مصنوعة وتكلفه - أكانت حاله عند محىء الوحى إليه ستأخذ هذا الصانع
الذى رأينا ؟

كلا.. بل ولا كانت الأقدار ستحتار به هذا العطاء.

لكن "محمدًا" ﷺ كان يرجو الله ربّه.. كان يريد الله ربّه

لم تكن فيه ذرة طموح لمجد دني أسمى محمد يكتسبه باسم الدين بل كان كله طموحًا لتكريس ديني . كان كله شغفًا وهيامًا عبودية حاصلة صادقة يطرحها في تواضع وبكاء بين يدي ربه العلي ، كبير . وكان كله شغفًا وهيامًا بأن يعرف الحق، ثم يهايه إلى الشريعة الخاتمة ويهديها إليه ثم كتب مرآته التي فطره الله عليها تؤهله لكل ذلك فكان فصل الله عبيه عظيمًا



لم يكن من طبائع الأشياء أن تحو "خديجة" من دهول المفاجأة وعم الكمات الخفية التي أهمتها حكمتها يهاها، لتسرى بها عن لرسول رهبة ، المشهد، وتخفف من وقعه وهيمته

لم يكن من طبائع الأشياء، ولا من طبائع الشر ألا ينتقل إليها من الرهبة نصب، مهم حارلت بهوئها المتسرى أن تكتسب الرهبة وتحميتها.

صحيح أن رهبتها لم تكون شيئًا مذكورًا بالنسبة رهبة الرسول الذي عايش التجربة وعادها.. بيد أنها رهبة تثير من الحيرة ، وحيرة تثير من رهبة ما يدخل الذكاء الإنساني مهما تكن قدرته في أمة تساؤل وقلق

ولقد استطاعت "خديجة" العظيمة حمًا أن تلقى وجه المفاجأة شبات كان سابعًا من شخصيتها الفريدة أما بقية المفاجأة، فقد كانت بحاجة إلى محبة أخرى تُعطى لمحدث تفسيراً، ويُضفى على أروع الذي لا يرال مأخوذًا، المرید من السكينة واليقين وتمثلت لها هذه المعجزة في ابن عمها "ورقة بن نوفل" و أحد من الذين استهجو عبادة الأوثان والأصنام وأوصى نفسه في البحث عن الدين

خلق وحين أدركه الإعياء ألقى راحته على مرفأ من مرفئ لنصرانية متمثلاً في ذلك المذهب الذى كان يرى في المسيح بشراً، لا إلهاً..

وهكذا اقترحت "حديجة" على "لرسول" ﷺ أن يذهب إلى "ورقة" عليهما يجدد عنده رأي وتفسير

كان "ورقة بن نوفل" على علم واسع بالتوراة والإنجيل وقد فصى شطر عمره في البحث عن دين حق يعد الله به. وخلال رحلاته وأسفاره التقى بكثير من الأحبار والرهبان والناسك، ولطالده سمع سوءة تتردد بأرسولاً يبعث إلى الحياة دين إبراهيم على وشك أن يهمل ويظهر وذهبت بعض البهوات إلى أبعد من هذا، فحدثت مكان ظهوره - مكة وما حولها.

وعاش "ورقة" بقية عمره ينتظر على شوق يوم لظهور، ويمسى نفسه بصحبة الرسوب الذى أحضرت نوءات العارفين على قرب محيئه، بذلك وطن نفسه على الاستقرار بمكة في انتظار لرسول

وهكذا مكد "حديجة" تقدم إليه بأروجه عليه لسلام، قائلة له

"يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك" - حتى حاجته لشواقه العميقة، وأقبل على الرسول يصغى إليه في انبهار عظيم.

ولا يكاد الرسول ﷺ يُهيى حديثه حتى يتهلل "ورقة" ويمضى بشراً ويعاين الرسول ﷺ ويقول له:

"هذا هو الناموس لى أنزل على موسى، ليتنى أكون حياً إذ يخرجك قومك".

ويسأله الرسول ﷺ "أو مُحَرَجٌ هُم؟..؟

ويجيبه ورقة: "نعم، م يأت رجل قط بمثل ما جئت به، لا غودى، رى

يدركى يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا

بهذه الحماوة، وبهذا ليقين تلقى "ورقة" أنبا الحق لدى كان من قبل ثروة طال تطعمه إليها.

وإنه ليرتضى أن يدركه يوم البعث لكون أول المؤمنين وأقوى الأنصار

لكنه سيموت وشيكًا، قبل أن يحىء يوم البعث العظيم.

وهكذا لم يُقدر له رغم فرحه العمر أن يؤمن بالرسول وبالدين الجديد

ذلك أن الدين الجديد لم يكن قد أعلن ميثاقه بعد.. والرسول ﷺ لم يؤمر أن

يشر بشيء، أو أن يتلقى بيعة

إليه الآن يعيش في يوم الوحي.. يوم ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ وبعد

حين يحىء يوم البعث يوم ﴿يَذَّكَّرُهَا أَلَمْ يَدَّرْ.. قُمْ فَأَنْذِرْ﴾

ويبين اليرمين (من ليس بالقصير، سينقطع فيه الوحي حكمة يعلمها الحكيم

العليم.

وخلال هذه الفترة، ستكون روح الرسول ﷺ قد أشرقت النور الجديد

وتهيأت لاستقبال مركبه العظيم

وخلالها أيضًا ستكون أشواقه الحميمة والعظيمة إلى الوحي قد فهرت كل

خافقه وتهيبه، وأعطت روحه ساعة هائلة صد أي توحس أو تسؤل

أجل. لقد ترك لأشواقه المحتدمة ولعمره تُشكل مُاخ علاقته بالوحي حين

يعاوده وبجيشه، وتُصبح استعدادة الأخير لصحته.

وهكذا، رأيته عليه سلام، يطلق أمام ضغط أشواقه إلى الحل، مقلًا وجهه

في سماء، معتصرًا مآقيه بدموع الحب والرجاء، هاتفًا صدره من أعماق صمته

المدوى، علّ روح القدس يُمُنّ عليه يغود قريب.

لكن روح القدس لا يملك من أمره شيئاً.. وفيه بعد سيحبر الرسول ﷺ
بهذه الحقيقة قنلاً له:

﴿ وَمَا نَتَّبِعُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُ مَا نَتَّبِعُ أَيْدِينَا وَمَا
خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ۝ ﴾

"سورة مريم ٦٤"

وظلَّ يعود فن الجبل راجياً أن يراه

وعنى الرعم من احتدام أشواقه، وتوقد هفتة، وتوجسه ارهيب، من أن
يكون لله قد أهمل أمره وقلاه عني الرعم من ذلك كله، فإن ذلك كله لم يذهب
به إلى حد الرعبة في تحرير نفسه من هذا القلق بالتخلص من الحبة - كما ترغم
بعض الأقاويل

إن كل عناصر الموقف ترفض وتدحض هذه المقولة

فليس محمد بشخصيته الراسخة وشمائله الشاحمة من يصنع ذلك، أو يهكر فيه.
ثم إن الأشواق حين تتصجر عني سحواسى عمامة الرسول، يكون من شأنها
أن تمنح الأمل والرجاء، لا القُروط واليأس.

أما اختياره ارتفعت ليسجى فوقه نفسه، ويتحسس أمله، فلأنها دائماً
أصلح مواطن التأمل، والتماس السكنة، وتوقع الإلهام

ألا ما أجّلها من حكمة - تلك التي أرادت أن يفتر الوحي عنه إلى حين
والى حنب كونها فرصة تستوعب فيها الروح شحنة النور التي تلقاها في
أول لقاء مع جبريل.

والى حانب كونها مجالاً لتجميع كل قوى الشخصية وحشد طاقاتها لتقوى

على الصحة الطويلة للوحي تلك الأيام ستدوم ثلاثة وعشرين عامًا كاملة
وإلى جانب كونها تمكينًا لعلاقته المقلدة مع الوحي عن طريق تحريك أعماقه
بالشوق الوثيق والحميم

وإلى جانب ما قد تومئ إليه من مسحة حق الاختيار إن شاء أن يتقدم حاملًا
من أعباء الرسالة ما يطوق وما لا يحق وإن شاء فليتأخر، قل أن يرتبط مع
الوحي بعهد وميثاق

بقول من جانب هذا الذي يمكن أن يلتبس فيه بعض الحكمة في انقطاع
الوحي عن الرسول إلى حين فقد كان في وسعه خلال تلك الفترة أيضًا أن
يعيش في نور الآيات الخمس التي لقته الوحي إليها في العار

هذه الآيات التي تضمن كلماتها، المعدودة على موكب راحر من المعاني
والدلالات

هذه الآيات التي لم تستهل حديثها معه عن القرشي، ولا عن العربي بل
عن الإنسان

﴿ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾

"سورة العلق ٥"

وكأنها تشير إلى التحوم للعيدة والسيحة لرسائله فهو - عليه الصلاة
والسلام - لن يكون لقريش وحدها، ولا للعرب وحدهم، بل للناس كافة ولشعر
أجمعين

كذلك سيكون في وسعه أن يروض نفسه على الكثير من لصير ولا احتمال
وتجريد نفسه من كل علاقات الحياة والنس هذه الأمور الكبرى التي سيذكره
القرآن بها كثيرًا فيما بعد قائلًا له.

﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْخَوْتِ إِذْ
نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴾

سورة النجم ٤٨

﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴾

سورة الإنسان ٢٤

﴿ وَلَوْلَا أَن شِئْنَا لَنَفَعْنَا لَكَ ذِكْرُكَ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ
شَيْئًا قَلِيلًا ﴾

سورة الإسراء ٧٤

أجل إن مع الرسول ﷺ الآن، وحلال فترة «قطاع الرُوحى عنه، أعظم
فرص امتلاك لصبر والاحتمال والتجريد
وكأنما أراد الرُوحى «قطاعه عنه أن يُتيح له هذه الفرصة فى دروة تعبيراتها
ومسلكتها.

والذين هامت قلوبهم بحب الله وتثروا حياتهم له سبحانه، قد يطبقون نصبر
معه، أى مع ما يتوسلون به لمرضاته من عادات باليس واسهار
وقد يطبقون نصبر فى سبيله، بما يحملون من أذى واصطهاد لكن الأمر
الذى يحاوز طاقتهم حقًا، هو الصبر عنه ١١

ومن ثم لا نجد شيئًا ولا وليًا ولا قدسًا يرزله فى أهوال الحياة كلها شيء. لا
أن يُسلب نعمة حب الله له، وحبه لله.

والصبر عن الله أمر فوق طاقة كل قديس بل وكل نبي فكيف إذا عانى هذا

الموقف الرهيب رجل جمعه مع الله رحي سمعه، وأحسه، وراه ؟ كيف إذا عاناه
دخل أرسل الله إليه وحياً وسفيراً، يباركه باسمه وسلعه تحته ورضونه ثم إذا هو
فجأة ينقطع عنه دون أن يعطى وعداً بقاء ٢٢٠٠

هـا الفرصة لتي لا تتكرر، نكي نحل في روح الرسول وشخصته أقصى ما
عرف الشر وما لم يعرفوا من قوى لصر والاحتمال والتجريد

فأما لصر والاحتمال، فها هو ذا يرى في خطه من لرمس - الشمس ملء
بمبه، والقمر ملء يساه - ثم فجأة لا يراه ولا يرى لا فراغاً وحيرة وليس
أمامه سوى لصر حتى تعود الفرصة ليثيمة، إذا كان مقرباً له أن تعود ولكي
يصر على مثل هذه التجربة ويحتملها، فإن عليه أن يمارس نوعاً من لصر لم
تعرفه الدنيا من قبل..!

وأما التجريد تجريد يقبض بربه من كل العلاقات، حتى تلك التي تكون
مؤنثة للبين وانعكاساً له. فها هو ذا يضرب لا يحظر على قلب بشر من
السكين والعادين - وحي من الله يزوره ويُقرئه آياته، فيقول له أنت رسول الله
وأنا حريل ثم يمضي كأن لم يجرى، وكأن لم يكن، بل ويمقطع وقتاً طويلاً دون
بادرة عودة.

أهك فرصة أحود من هذ وألح لبحرّد الرسول ﷺ يقبضه من كل علاقة
ويحرره صورة مظمة لرب العدين، ولدات القين ٢٢٠٠

أجل، إن لقطاع لوحى بعنى هدا ولكأنه هول للرسول ﷺ ليأت الوحي،
أو لا يأتى..

ليذهب عنك بن حير أو يذهب عنك إلى لأند - دك أمر لله مرده
ومرجعه - أم أنت فلتبق مكانك من العدة والشك وليبق يقينك في دائرة

تَشَهُ ونَجْرُهُ . وَتَقُ رُوحُكَ حَيْثُ هِيَ سَائِجَةٌ فِي فَلَكِ الْعَمُودِيَةِ الْخَالِصَةِ..

وَبِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ . «لَيْ مَكَانُكَ، وَلَا تُرَدُّ مِنْ اللَّهِ سِوَى اللَّهِ» ١١

وَلَقَدْ اجْتَارَ الرَّسُولُ ﷺ التَّحَوُّةَ نَجَاحٍ عَظِيمٍ، بِإِذْلالٍ أَقْصَى مَا يَمْلِكُ الْبَشَرُ مِنْ
طَاقَةٍ - مُعَابَاً مِنْ مَقَاوِمَةِ الْقُلُوبِ، وَمِنْ دَعْمِ قُوَى الْإِحْتِمَالِ وَالصَّبْرِ فِي نَفْسِهِ مَا لَا
يَقْدِرُ عَلَيْهِ سِوَى أَوَّلَى الْعِزِّ مِنَ الْمُرْسَلِينَ..

وَبَعْدَ حَسِّ سَحْنَتِهِ الْوَحْيِ فِي صَلَاسَةِ فَرَحٍ عَظِيمٍ، مُسْتَأْفِياً مَعَهُ لِرَحَلَةِ
الْمَدَارِكَةِ، تَالِيًا عَلَيْهِ قَوْلَ رَبِّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ رَبِّ الْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ ١ مَا أَنتَ بِعِزِّهِ رَبِّكَ

بِمُخَنَّنٍ ٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ٣ وَإِنَّكَ لَعَلَى

خُلُقٍ عَظِيمٍ ٤

"سورة القلم ١-٤"

لَقَدْ نَجَحَ "عَمَدٌ" ﷺ وَفَارَ فَوْراً عَظِيمًا

نَجَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَحَاءَ الْوَحْيِ يَتَوَجَّهُ بِأَكْرَمِ وَأَشْرَفِ وَأَطْهَرِ نَاحٍ.

﴿ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴾ ٣ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ٤

هَلْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَصَوَّرَ بِهَيْجَةٍ بَعِيدٍ وَحَلَالٍ لَعِيدٍ الَّتِي أَقَامَتِ السَّمَاءُ لَصْفِهَا
وَرَسُولِهَا، حَيْثُ يَتَلَقَّى فِيهِ بَعْدَ طَوِيلِ قَلْبٍ وَتَسْأُولُ وَاصْطِبَارٍ بِدَاءِ اللَّهِ الْعَظِيمِ أَنْ.

هَذَا مَعَكَ مِنْ جَدِيدٍ وَمَعَكَ دَائِمًا، يَا صَاحِبَ خُلُقِ الْعَظِيمِ ١١٩٩

هنيئاً لك، أنا القاسم ما أعطيت وأوليت
وهيئاً لأمتك بك.

والآن، فمع وحى الله وسفيره، لن نُقلب وجهك بعد اليوم بحثاً عنه فهو
معك بؤذن ربه، يتنزل على قلبك بالنور والفرقان.
فغداً يتلو عليك

﴿ يَنَاقِيَا الْعَزْمِلُ . قُمْ اللَّيْلُ إِلَّا قَلِيلاً يَضَعُكَ أُورِ
أَبْقَصَ مِنْهُ قَلِيلاً . أَوْزِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ﴾

"سورة المزمّل ١-٤"

وبعد عدو، يأتيك بإعلان البعثة والرسالة والتكليف:

﴿ يَنَاقِيَا تَمْدِيرُ . قُمْ فَأَسِيرُ ﴾

"سورة المدثر ١-٢"

ثم تتولى روحاته وعدوته بين السماء والأرض. بين الله ورسوله
لسوف يصححك ثلاثاً وعشرين سنة

وسوف لا تفتقد أبداً مدد ربك، ولا صُحبة خليلك وستتم أسعمة لك
وعليك يا أب القاسم..

ولسوف يعطيك ربك فترضى.



الفصل السابع

أبشر يهنا وتنا...؟!!



كانت مأساة البشر عبر الخقب والقرون، أنهم كلما جاءهم رسول من أنفسهم يأكل مما يأكلون منه، ويشرب مما يشربون - يحمل لسانهم، ويتحدث معهم وإليهم بلعنهم..

كنت مأساتهم أنهم يدينونه ما كان يسفى أن يكون مريض الإجلال والتوقير، وداعى التصديق والتوثيق..

أجل - كنوا يدينون بشريته، صابين بـلرساله على الشروسي الإنسان !
كان ذلك يعنى المراوغة والهروب من مواجهة الحق المبين.. كما كان يعنى جهلهم الأعمى بقيمة الإنسان..!!

هالك استكثروا أن يصطفى الله من الشرُّ سلاً وأسياء، فقلوا - فى كل أحقادهم، ولكن رسلهم.

﴿ أَتَنْفَرُّ بِدُونِنَا ﴾ ١٤

كانهم لم يعرفوا، أو عرفوا ولم يصدقوا أن الله اصطفى آدم، ونوحاً، وآل إبراهيم، وآل عمران على العالمين.. وأنه سبحانه وتعالى آثر "آدم" عليه السلام، فجعله فى الأرض خليفة، رغم تطلع ملائكته المقربين لهذه المكانة الرفيعة - وأنه - عز وجل - كرم أنبياءه وفصلهم على كثير من خلق تفصيلاً. ١٥

كل أمة قد خلا فيها نذير. وكل أمة قانت لئديرها ورسولها: "ما أنت إلا بشر مثلنا".

وأي بأس ٩٩٠

أكانوا ينتظرون "ملكاً" رسولاً ٩٩٠؟

أليس الله أعلم حيث يجعل رسالته. ٩٩

وإذ كنوا لم يطيقوا صحة لرسول البشر، وهو واحد منهم. فأنى لهم أن يطيقوا الرسول المذكور وأنى للملك أن يصير على صحتهم، وعلى مكرهم، وما يافكون ١١٩٩

كلهم قالوا "أبشرونا" ١٢

وكذلك قالت "قريش" لاسها الأمين ولقد حذرنا الله سبحانه في قرنه العظيم، وحذر كافة المشركين والمكذبين الذين أحصوا أصغابهم وأحقادهم حلف هذا لمحق المهلهل، والمقومة نداء حصة حذرهم أن يركبوا سنة الدين من فلسهم فقال جل جلاله.

﴿ أَنْتُمْ يَا نَكْرَهَ نَبُؤُا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَتْلٍ فَذُقُوا ذِئَابَ
أَمْرِهِمْ وَهُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ ﴿٥٦﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَوْتِيهِمْ
رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشِّرْ يَهُودُونَ فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا
وَاسْتَفْتَى اللَّهُ وَلِلَّهِ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٥٧﴾

"سورة التوبة ٥٦، ٥٧"

تلك كانت مشكلة المكذبين بآيات الله ورسله..

فماوا

﴿ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ
وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٥٨﴾

"سورة المزموذ ٣٣"

وقالوا

﴿ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَصَّلَ عَلَيْكُمْ ﴾

'سورة المؤمن ٢٤'

وقالوا لرسولهم

﴿ مَا أَنتُمْ إِلَّا نَشْرٌ مِثْلُكُمْ وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ ﴾

'سورة مريم ١٥'

وقالوا.

﴿ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَطُّكَ لَمِنْ الْكَذَّابِينَ ﴾

'سورة الشعراء ١٨٦'

وقال بعضهم لبعض.

﴿ وَلَئِنْ أَطَعَمْتُمْ نَفْسًا مَشْكُورًا يَكْفُرُ بِكُمْ بِدَّ لَخَسِرُونَ ﴾

'سورة المؤمن ٣٤'

وقالوا

﴿ أَأَنْشُرَ مِمَّا وَاحِدًا نَنْفَعُهُ إِيَّاهُ إِذَا لَهِيَ ضَنْبٌ وَسُعِيرٌ ﴾

'سورة القمر ٢٤'

هذه لتساؤلات العمية. واجه قوم كل رسول رسوله وبمثالها واجه مشركو

مكة سيدنا محمد ﷺ رسول الله إليهم، وإلى العالمين !!

ولقد كان المرسلون جميعاً . عليهم صلوات ربنا وسلامه - لا يكفون عن

تقرير بشريهم، وتوكيدها.

﴿ قَدْ سَأَلْتَهُمْ رُسُلُهُمْ يَا نَحْسُ لَا بُشْرَ مِثْلِكُمْ ﴾

"سورة يونس ١١١"

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ
إِلَهُ وَاحِدٌ ﴾

"سورة الكهف ١١٠"

﴿ قُلْ مُنْجَاكَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴾

"سورة الإسراء ٩٣"

وكان لرسول "محمد" عليه أفضل الصلاة وأرکى السلام يؤكد هذه الحقيقة، ويُعنى بتزسيحها في قلوب الناس وعقولهم. وعلى الرغم من أن خصومه من المشركين كانوا يركزون على هذه المقولة ويجعلون منها ومن المعجرات مادية المحسوسة تحداً مزعجاً إلا أن الرسول - عليه الصلاة والسلام - بقى صامداً مؤكداً أنه رسول من البشر، رابى البشر مُعلنًا ما أمره ربه أن يصدع به

﴿ قُلْ لَوْ كُنْتُ فِي الْأَرْضِ مَنِيكَةً يَمْشُونَ
مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَنَكًا رَسُولًا ﴾

"سورة الإسراء ٩٥"

لقد جهل المشركون أن الله - جل جلاله - لا يمتحن، ولا تاله اعتبارات الناس وتفسيراتهم ومن ثم فهم ساطلون ومطلون حين يتناولون بالقول، فيسألونه سبحانه أن يريه مقدرته من خلال "محمد" إذا كان إلهاً حقاً قديراً وأن يريهم صدق "محمد" ﷺ من خلال قدرته وتوثيقه وتأيدده هذه سورة

ولصاحبها !! لم يستطيعوا أن يرتفعوا بتفكيرهم إلى المستوى الذي عنده يدركون أن معجزة " محمد ﷺ " هي " محمد " ذاته " ١١ " وأن أروع آياته ومعجزاته، مثل في أن الله جعله هدى ونورا وأن القرآن العظيم بكل مقاييس العظمة، الصدق بكل مقاييس الصدق، هو المعجزة، اللانقطة بدين هو حاتم الأديان ومن ثم فهو سابق، وحال، وعميم ولأنه كذلك، فإن توثيقه لا يعتمد على حورق مادية، لا يراه إلا الدين بشهادتها في بصع لحظات، ثم تنتهي وتصبح مجرد ذكرى وأحاديث

إنما يعتمد على " كتب مُبَرِّ " لا يصل بهاؤه.. يحمل إلى البشرية في كل عصورها وأحباطها ما أودعه الله فيه من حكمة وهدى وبور.

* * *

لم يدرك أهل يوم في عصر الرخى هذه الحقيقة لنصعة والساطعة ولا يراون كثيرون من حصوم الإسلام في عصرنا هذا، عشرين عن إدراكها أو هم قدرون على إدراكها ورؤيتها وسماعها، لكنهم لا يستحيون ١ طلب كفار مكة برسول الأميين بصع خوارق مُصْحَكَة حملها القرآن تكريم إليهم، وإلى لأحيال..

﴿ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ حَتَّى تُفْجِرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ﴾ ١١ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ جَدِيدٍ وَعَسَىٰ أَن تَنْفَجِرَ لِأَتْنِهرَ جُلُودَها تَفْجِيرًا ﴾ ١٢ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زُرْعَتْ عَنِّي كَسْفًا أَوْ تَأْتِيَ بِلَهُ وَالْمَلَكِ قَبِيلًا ﴾ ١٣ وَ يَكُونُ لَكَ نَيْتٌ مِّنْ رُّحْرٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ بِرُقْيَاكَ حَتَّىٰ تَنْزِلَ عَلَيْنَا نَقْرُؤُهُ ١٤ قُلْ مُتَحَدِّثِينَ هُنَّ كُنْتُ

إِلَّا نَشْرًا رَسُولًا ﴿٩٧﴾ وَمَنْ مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمْ
الْهُدَىٰ لَا أَنْ قَالُوا أَخَعَتِ اللَّهُ نَشْرَ رَسُولًا ﴿٩٨﴾

سورة الإسراء ٩٠-٩٤

ماذا وراء هذا اسطق المحبول إن كان مطلقاً على الإطلاق ؟
وراءه أناس، لا يريدون رسولاً بل يطربون "ساحراً" يسترهبهم
سحره. !!

ويطلبون "إقطاعاً" ضخماً و "رأسماً" فخماً، تكون له القصور
المزخرفة، والحدائق البادحة !!

ويستغنون "إيها" يُسقط السماء كسفاً ويرل إليهم متحدثاً معهم، ومُصدقاً
لهم.. وتحىء معه الملائكة قبيلًا.. !!

وتولى الله الجواب بما أنزل على قلب رسوله

﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرٌ رَسُولًا ﴾

* * *

إن الصادق يحىء نفسه، ويؤكد هوده. وهذه أوصح سماته، وأعظم ميراته
ومع الصادق، تحىء معجزة أخرى من المعجزات الأصيله، والحقيقة بالتقدير،
متمثلة في هذا القدر الساهر من الثبات والمثارة ثبات الرسول ﷺ وثبات
أصحابه العزل والمستصعبين، كبت أولى محابته ومواهبته للحصومات اللجة،
والتحديات اللاهثة.. مما حاة بالغة القسوة بيد أنها في نفس الوقت كانت نعمة
مُقنَّعة جاءت في أوانها !!

ذلك أنه بعد فتره من معشه، وحيث كان يُبشر بدعوته سرّاً، حاه الوحي
الأمين حاملاً أمر الله لرسوله ﷺ بالخهر والعلانية:

﴿ فَأَصْدَغَ بَعْدَ تَوَمُّرٍ وَأَعْرَضَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾

"سورة إبراهيم ٩٤"

فهوى عليه السلام، آخذًا طريقه إلى تلة الصفا ومن عليها راح يُندى بصوت قوى جهير داعيًا العذريين إلى الإقبال عليه، والإصغاء لما يقول وكان قبل ذلك قد أرسل في طلب زعماء قريش وشيوخها ليلتقوا به عند الصفا

وهناك وقف يُلقى أولى كلماته الجهيمة لمحنة

"أرايتم لو أحترتكم أو حيلًا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مُصدقين ٩٤"

وأحاطوه بماء حيرتهم بظهر حيانه، وبصدق كلماته وبمعتهم الكامله النسي أصفاها عليهم سلوكه العظيم والبيلى، منذ كان يافعًا. وحتى هذه اللحظة النسي يهوى فيها حطبًا

أجابوه: نعم والله بصدقك، فما جربنا عليك كذبًا أبدًا

قال ﷺ

"فلما يدبر لكم بين يدي عذاب شديد، وإنى رسول الله إليكم أن تعبدوه وحده، ولا تُشركوا به شيئًا"

الله وحده ولا شريك له

فأين إذن "هبل، واللات، والعزى" ١٩!

كانت كلمات الرسول ﷺ داعية القصر كوميض البرق وفعممه لرعد

أم الثلاثون الدين كانوا قد استحبوا الله ونزل رسول، وأسلموا في مرحلة الخفية والمساررة، فقد أضاءت وجوههم أنوار متألفة عامرة

وأما الكفة من أهل مكة الذين يستمعون هذا النشيد اسماوى لأول مرة، فقد راخروا يتبادلون الدهشة و لطرات وأما علية قريش وصفوتها، فقد بهوا، ووحوا، والتقت بطر تهم الخائرة و الخائرة عند وجه "أبى هب" وكأنها تسأله -

ما رأيك فى ما سمعت، يا عم محمد ؟!

وكان أبو هب عند حسن ظنهم بحمقة، تصح فى وجه ابن أخيه عبارته المكرة: ثأ لك.. أهذا جمعتا..؟!!

وكانت مفاجأة قاسية فه هو ذا عم "محمد" عسه السلام، هو الذى يُسمه مُبادرته الكريمة، ويشجب دعوته العظيمة !!

لم يأت هذا الشجب، ولا هذا الاستنكار من أحد آخر . إنما جاء من عمه، وأقرب الناس إليه !!

بيد أن هذا الموقف المشحون بالإحراج، وبالسوء، كان كما أسلفنا "نعمة" مُقنعة ومتنكرة فى سورة بلاء

لكأى أر د الله سبحانه، أن يضع هذا السير أمام رسوله ﷺ لكأنه يقول له أمامك زمن صعب، وجهاد عسير، فلا تعتمد على غيرنا، ولا تعقد الأمل على سوانا، ها هو ذا عمك . انظر كيف تحذرك من دون الناس حيفاً، بدلاً من أن يصرك، ولو بالصمت للمرور. امض ل بأمرك . ودع ثرثب نحن أمورك وستري أننا أولى بك منك.

ياله من درس حكيم وعظيم، جاء فى مواعده وأوانه..!! ولقد حذق لرسول ﷺ الدرس واستوعبه تماماً فما هو ذا نُعيد وفاة زوجته "حليجة" وعمه "أبى طالب"، وكنا أكثر الناس احتراماً له، وحرصاً عيه، وتقافياً فى حبه ونُصرتة، لا يُحاذر ولا يخشى . ولا يتحفف من عبثه، ولا يتشد فى خطوة، ولا

يجرى حسناً مع نفسه ومع عواقب الأمور بعد أن رحل عنه نصيراه الأثيران والكيران.. بل يحمل قلبه الجسر في يمينه - برك الله يمينه - مؤلف وجهه شطر مدينة "الطائف" داعياً أهلها الشرعيين إلى دين الحق، راحياً أن يشكل مهم كتيبة من كتائب الدعوة، تشد أزرها، وترد كيد عاديتها.

م يحف، ولم يحصل، ولم يصطحب معه أحداً من أصحابه المؤمنين من ذهب فرداً متفرداً، لا يالو على شيء ولا يحسب للمفاجآت أي حساب.!!

وحين لقيه رعماء لطائف بصلفهم وبشر ستهم إلى الحيد الذي اغرروا فيه سهاءهم أن يسحروا منه ويحبسوه بالحجارة حتى أدموا عقبيه، م تهرء المفاجأة على الإطلاق.!!

ألم يتوقع النصرة في مظنئها، يوم حديثه الأول إلى قريش على الصفا ٩٩ ثم جاءته المفاجأة الداهلة حين أحلف الواقع صه، فإدا عمه "أبو لهب" يكون أول من يلقى القفاز في وجهه.. ١٩٠

أنى يجيئه الخوف من المفاجآت مهما يكن سوءها وسوأتها ٩٩. وأنى به انتظار النصر من غير رب لنصر، العالب على أمره المسيطر بقدرته وقدره ١٩٠.

لقد صدر عنه الصلاة والسلام صديقاً للمجهول لا تستشره لمفاجآت مهما تتلمع بالغموض.. ولا ترحمه أو تفرعه احتمالات العواقب مهما تحمد من حراح ورصوص.!! أما أعداء الله وأعداؤه، والصاعون على دعونه والحاقدون على شرف رسالته، فقد ذهب الله نورهم، وتركهم في ظلمات لا يصفرون



ك ثبات سيدنا "محمد" ﷺ وكان بصبره ومثابرته ثم من بعد ذلك كله أو معه، كانت تصحياته المتألعة، والمنهوية، تصع وتصوع وتكتب تريح حديدًا

لشرف الإنسان . وشرف الإيمان..

ولقد سيع رحل ما من الرجال أعلى وأسمى آفاق اشات وانتصحة والمثارة
نتيجة احتوائه على قدرات عقلية ونفسية هائلة..

أما أن يتفعل نفس القدر من التصحية والمثارة والثبات إلى الآخرين الذين لا
يملكون مثل قدرات نفسه وعقله وروحه والذين لا يدفعهم من دواع الدنيا
ومموحاتها أي دفع والذين يرسلون حواطمهم نحو المجهول، فلا يجدون على
حايبه إلا أخطاراً محدقة وشدائد مريحة. ومحنًا ترحم الطريق الطويل !!

أقول: أما أن يحدث ذلك، فالأمر إذن أمر إعمار فريد، بقدر ما هو محدد !!
أقول: أما أن يتصدّر صفوف المكرين بالإسلام ثلثة من صفوة قريش
وحكمائهم.. معرضين شرفهم اربيع وجاههم العريض، ورعهم، ومكائهم
لأسفاف المشركين وسفالاتهم وكيدهم الأحق، وأدائهم المسعور دون أن يكون
هناك مخائم ينتظرونها، وأمانى يترقبون محيها، واثقين لا غير - بكلمة واحدة
واعدة همس بها الرسول ﷺ في آدابهم.

لجنة !!

فهذا إعمار آخر.. ولن يكون الأخير !!



الفصل الثامن

المادة ٨٠



ما دام لدى اختاره لرسالته وحمل كلمته هو الله رب العالمين الله ادى بيده
مقلد كل شيء، ويعلم السر وأخفى ما دام ذلك كذلك، فما أظن أن لنا الحق
- إن كنا بالله من المؤمنين - أن نلقى بهذا السؤال جهره، أو نظوي عليه الصدور
فرب العظيم وهو العليم الخبير أنانا حين قل حل جلاله.
﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾

سورة الأنعام ١٢٤

ولم يكن علم الله بمن يختاره لرسالته خاصاً بسيد محمد عليه السلام بل عاماً
في كل اختيار لكل المرسلين.. يقول سبحانه

﴿ وَلَقَدْ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَنِ الْغَنَمِ ﴾

سورة النحل ٣٢

فبعلمه الذي لا يعرف عنه مقال ذرة في الأرض ولا في السماء
ومشيئته التي لا تغلب، وبحكمته التي لا تعمو، ولا تتردد - اختار من عباده
إبراهيم وموسى وعيسى ويوحنا ويونس وإحويهم من الأسياء والمرسلين، ثم
حتمهم محمد ﷺ لرسول والى الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته، ثم قال لا
﴿ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾

سورة الأعراف ١٥٨

ولأنه حتم المرسلين، أحد الله له انبياء منهم ومن أمهم جميعاً وإله ليقول

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِءَ وَلَتَنْصُرُنَّهُۥ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ۗ قَالُوا أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَاشْهَدُوا ۚ وَأَنَا۠ مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ۝﴾

سورة آل عمران: ٨١

وهكذا يجب الله كل من يسأل - وقس أن يسأل - لماذا احتار "محمدًا" ﷺ ليحمل رسالته إلى الناس - جميع الناس مبشراً وبلديراً، وداعياً إلى الله بإذنه وصراحاً مُميراً..

وحين يختار الله حل حلاله من عباده من يُعلم، ويهدي، ويقود، رافعاً راية الحق والخير والطهر والحرية والعدل، فمن البدهية أن يُهيئه لهذا الدور بأعلى الخصائص وأسمى الأخلاق في الوسط والغايات ولا يستطيع من يعرف سيد محمدًا ﷺ أو من يريد أن يعرفه ألا يقف طويلاً مع أعرف الناس به وأكثرهم صحبه له وأصدقهم بهجه إذا تحدث عنه

ذلكم هو صاحبه وابن عمه وروح كريمته الإمام "علي بن أبي طالب" كرم الله وجهه، فلتصغ له وهو يتحدث عن الرسول ﷺ

"كان دائم البشر، سهل الخلق، لين الخاب.. ليس بمط ولا غبيظ ولا صحاب ولا عتاب أجود الناس صدره، وأصدق الناس لهجة، وألهم عربكة، وأكرمهم مشيرة من رآه سيهة خآبه ومن حاطه معرفة حته.. يقول وصيه لم أر قبله ولا بعده مثله لا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح.. وما رأيت

منتصراً لنفسه من مظلمة طينها قط إلا أن يُشَهِّكَ من محارم الله شيء فمستند
يكون أشد الناس عُصْباً.. وما خَيْرٌ بين أمرين إلا حَتَّارُ أَيْسَرَهُمَا كانَ يَحِيطُ ثوبه،
ويجلب شتته، ويجدم نفسه إذا عصب أعرص وأشاح وإذا فرح عصب طرفه
وكأن يتفقد أصحابه، ولا قصر عن الحق ولا يجاوزه أفصل لئاس عبده
أعظم نصيحة، وأعظمهم لديه مرلة أحسنهم مؤاساة ومُؤَارَرة.. إذا انتهى إلى
قوم جلس حيث ينتهي به المجلس، ويأمر بذلك لا يحسب جليسه أن أحداً أكرم
عليه منه قد وسع الناس سبطه وخفقته، فصار هم أباً وصاروا عنده في الحق
سواء.

قد طهر نفسه من ثلاث:

المراء . والكبر.. ومالا يعنه "

هذه بعض محمد "محمد" ﷺ وجصائه.

وحسبه أن يُقسم ربنا العظيم له ولنا فخاطبه قائلاً

﴿وَنُكَ لَعَلِّي حُلِّي عَظِيمٍ﴾

"سورة الفم ٤"

هذا هو الذي نادى الشر بالأمر، وبناديهم اليوم، وغداً وبعد غد إلى أن
يرث الله الأرض ومن عليها

فإلام دعا؟؟ ولما انطلقت أنوار شخصيته، وأصواء دعوته، وحنان رحته؟

أجل - إلام يبدى "محمد" ﷺ اليوم، البشر المدحجين بالجهالة، وانقسوة،

والصلال.. والمشرين سوء النصير وإمال ١؟؟

سُئِرَ وَتُصَرُّونَ وَتَسْمَعُونَ وَتَسْمَعُونَ وَتَسْمَعُونَ وَتَسْمَعُونَ وَتَسْمَعُونَ

يَبْصِرُونَ بَصَائِرَهُمْ قَبْلَ أَبْصَارِهِمْ وَيَسْمَعُونَ بِأَفْئِدَتِهِمْ قَبْلَ أَدْبَانِهِمْ..
ثُمَّ يُمَجِّدُونَ اللَّهَ وَيَحْمَدُونَهُ وَيَسْأَلُونَهُ.

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَ بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ
رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾

'سورة آل عمران: ٨'



الفصل التاسع

فليس في الإنسان

سعى إلى الرسول ﷺ يوماً واحداً من زعماء الخزيرة العربية هو "مفروق بن عمرو"، وواجه الرسول ﷺ بهذا السؤال:

إلام تدعو، يا أحمق فريش؟؟

أجابته لرسول ﷺ أدعو إلى توحيد الله، وأنى رسوله قل مفروق وإلام أيضاً؟؟

فتلا الآية الكريمة:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْغَيْبِ يُعْطِيكُم مَّا تَدْكُرُونَ ﴾

"سورة النحل ٩٠"

فقل مفروق، "هذا والله دين لا ينفر منه عاقل، ولا يغيب عن مثله كريمة" !!

إذن، فهذه دعوة الرسول ﷺ ومبادئ دينه وعقيدته.

- توحيد الله، وتوجيه أفضة الناس جميعاً إلى أن إلههم واحد - رب السموات والأرض، وما بينهما، ورب المشارق والمغارب .

كما نصمنا بدعوه بعد الإيمان بالله الواحد الأحد - الإيمان برسالة "محمد" الذي اختاره الله ليبلغ عنه ويشر به، ويدعو إليه وماذا أيضاً نختصه

دعوته ورسالته؟؟

العدل. والإحسان.. ورفض الفاحشة، والمكر، والبيع

وهذه هي التحليل النهائي لها، جميع ما تتطلبه في إلحاح وحتمية الحياة .
والإنسان، لكي يبقى بلحياة اردهاها، وللإنسان إنسانيته!!

ولقد فهمها " السائل " مقال قرأته بذكىة التى علق بها على إجابة الرسول
وفى القصور القادمة إن شاء الله تعالى سئلتهى بتصصيل ما أوجره سيدى
مفروق فى بصع كلمات..

كان " مفروق " من سادات العرب وأمام إجابة الرسول عن سؤاله، ألقى
السمع وهو شهيد معد أن هذا الدين أصدق وأوثق وأحل من أن يصرف عنه
رحل رشيد..

وموقف " مفروق " هـد يصحح فكرنا عن أوائ المسلمين الذين سارعوا إلى
الرسول ﷺ فى حب عامر وإيمان مكين.

ذلك أما نقف عند نفر من الفقراء والعبيد الذين سارعوا إلى الإسلام مثل
" بلال " و " حناب " و " آل ياسر " - فنظر أنهم وحدهم كانوا أبطال المشهد
الأول ناسير ذلك النفر من العلية الدين م يكادوا يصرون شفتى الرسول
العظيم تفرحان عن كلمات الله ر،قرآن والإسلام يَمُمُوا مسرعين نحو
لرحيق، ولور، والمستعمل الموعد فكان هناك " أبو بكر " و " عبد الرحمن بن
عوف " و " سعد بن أبى وقاص " و " عمر بن الخطاب " و " عثمان بن عفان "
وكلهم، ومثلهم معهم، من سادات فريش ومن صفوة رحالها.

وهذا يدلنا على أن شخصية الرسول المقبنة، ولأسرة - كانت شخصيته
وسط تمنح بالقسط شرف الحق وور الإيمان وتقوى الحياة.. ولا يكاد أحد

يلقاها بصدر ودود، وفهم دُشيد حتى تنال عليه بركاتها مائة رُوعة بالاحلال وباليفين

في كتابي "نسائيات محمد". أهديت، لكتاب إلى سيدنا الرسول ﷺ في هذه الكلمات

يا من جئت الحياة فأعطيت ولم تأخذ يا من قدست بالوجود كنه، ورعيت فصيحة الإسار..

يا من ركبت سيادة العقل، ونهتت غريزة القطيع.
يا من هياك تعوقك لتكون سيداً "فوق" الجميع، فعشت واحداً "من" الجميع..

يا من أعطيت القدوة، وضربت لئس، وغشيت الطريق
- يا أيها الرسول، والأب، والأخ، والصديق..

إليك أهدى هذه الصفحات بي حياء من يعلم
أنه يجاوز قدره بهذا الإهداء

و لأن، فإن الصورة التي رسمتها كلمات الإهداء لم تتغير، ولم ينصل بهاؤها.. بل ازدادت ألقاً وصدقاً ومجداً

فهذا - حقاً - هو الإنسان الكامل الذي قدمه الله لعباده وهدى يدي الإسلام لبشر إليه، ليطلبوا عظمته. ويقرأوا رسالته ويهيموا حقيقته، فإذا هم به من المؤمنين وله من التابعين .

وعلى الرغم من أنه عبد ربه أوأب فقد كد لب رسالته إرهاب الحياة، ويهاص الإنسان

إنه يريد للحياة إعماراً لا يؤدى بانتهاء ولا بصرف عنه انقطاع السماء، ولا انتشار الكواكب، ولا تمجُّر البحر وعثرة القصور، ولا كل مظاهر البعث والقيامة والنشور!!

ولنصغ لقوله ﷺ

"إذا قامت الساعة، وفى يد أحدكم فسيلة، فليغرسها"

لو جمعنا كل ما قاله الفلاسفة والعلماء والحكماء فى دعم الحياة واحترام حقها فى الاستمرار والتقدم والإعمار، ما بلغ معشار ما تُثبته كلمات الرسول هذه

"إذا قامت الساعة، وفى يد أحدكم فسيلة، فليغرسها"!!

إن الفسيلة من صغار الحنلى تُغرس فى الأرض تنمو فيما بعد نخلة ناسفة لها طلع نصيد فأى نوع وأية حدودى من عرسها إذا كان يوم البعث قد أطل بأهول له وقام لناس لرب العالمين ١٩٩

إنه الالتزام المقدس تجاه العمل والحياة، يحرص الرسول ﷺ على قيام المسلم به حتى والدنيا تلمظ آخر أنفاسها..!!

ولا يقل نهوضه بالإنسان عن إبقائه على الحياة وإلحاحه مُصطفى الله لخلافه فى الأرض، وموضع إكرامه وتكريمه

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَلَدِ وَالْحَرِ
وَرَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ
خَلَقْنَا تَفْصِيلاً ﴾

والعمل في سبيل بهوصه ورفعته وتقدمه الروحى والمادى، ودعم حقه فى الحرية والعدالة - هو لب رسالة كل سى وكل رسول

ولما كان الرسول محمد ﷺ خاتم الأنبياء وآخر المرسلين فقد كان اهتمامه وكانت همومه بالإنسان أكثر أعباء وأثقل حملا من كل أحد وأثقال إخوانه لذين سفوه من الأنبياء والمرسلين، وبروحه الصير وعمره التقدير، حول هذه لأعباء والأثقال إلى قبض لا يفيض من الحزن والرحمة والحب

يسمع أصحابه يلعبون وحدا من مسلمين شرب الخمر يعد نجريهم فيحرهم الرسول ﷺ وينهاهم قذلا

لا تلعونه، فإنه يحب الله ورسوله!!

ولم لا يفعل، وقد قال الله عنه

﴿وَإِنَّكَ لَعَنَى خُنْفٍ عَظِيمٍ﴾

'سورة القم ٤'

وقال فيه

﴿بَقَدْ حَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَشَتْ خَرِيصٌ عَيْنَكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رُؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾

'سورة التوبة ١٢٨'

وإنه ليقول

بينما نغى تسير إذ رات كلبا يلتهث من العطش،
فخلعت موقها وأذنته فى بئر حتى ملئ ماء، فسقته،
هشكر الله لها، وضر لها، وأدخلها الجنة!!!

ليس شرطاً أن تكون هذه الكلمات اليباعات تصويراً لحادث حدث وواقعة وقعت وحسبها أن تكون مثلاً رمزاً لرحمة ربنا وحنانه وهباته كما يفهمها الرسول ﷺ، وكما يُدرك أبعادها الخليفة التي تُطالُ كمر أعرض الصصف الإنساني ومن يتتبعه من ذنوب وخطايا وأوزارا

فالغنى المتقلبة بين أحضان المكر والفاحشة يستوقفها طمأ كسب يلهث، ويتدنى قلبها الكسبر عاطفة حانية، فتشق مُرطط بصفين وترط به موقها أي نعلها ثم تلقيه في غيبة البئر، حتى إذا امتلأ ماء جدته في رمق.. وللأهث بظمان لا ت يرف ويهر دينة في سرور ودهشة وأخيراً تُدبى الغنى ماء في فمه المرغف، فيشرب عللاً بعد نهل حتى إذا زوى أقبل عليها يمسح كفها ودراعها بدسبه تعبيراً عن شكره وعرفانه.

ويتمرض الرسول الكريم ﷺ أن الله يرقب المشهد من هناك من فوق سموده وعرشه المجيد ويسألنا ما تطنون أن الله صانع بهذا المعنى ٢٢
لقد شكر لها.. وعمرها وأدخلها الجنة. ١١

ألا صدق ربنا العظيم حين قال لرسوله ﷺ :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾

سورة الأنبياء ١٠٧

وصدق الرسول ﷺ حين قل عن نفسه:

"إنما أنا رحمة مهداة.."

تصوروا رسولاً جاء لغير العالم يُعنى في س عظيم بالحيوان في لحظات

دجحه، فيقول

"إذا ذُبِحْتُمْ، هَأْخَسُوا الدُّبِيحَةَ وَلْيُجِدْ أَحَدُكُمْ
شَفْرَتَهُ. وَلْيُزَيِّحْ ذُبِيحَتَهُ"!!

وإنه - عليه الصلاة والسلام - ليمر برجل يُوثِقُ ذُبِيحَتَهُ بالحبال والسكين في
يده ترمقها الدبيحة بنظرات حزينة متفحعة، فنأى الرسول بوجهه وبصره، ويأمر
الرجل أن يُورِي شَفْرَتَهُ ويرحم الدبيحة من أن تشقى برؤيتها مهددة متوعدة !!

* * *

والآن، فليرسل البصر متجهماً وناقماً إلى التَّيْنِ الروسي الذي يقترف في
"لشيشن" ومع شعبها المسلم كل أنواع الإفك والقتل والحرق والإجرام
وليرسل البصر إلى لوسنة والمهرسك حيث يدمر الصرب الملاعين كل شيء
هناك - الإنسان، والحيوان، والدور، والمسجد، والمدن، والقرى
وحيث يُجهرون في وجبة واحدة على ثلاثة آلاف مسلم حرقاً دليلاً!
ولم يكفهم هذا، فراحوا يفعلون ما ينحفل الشيطان من فعله، ويخفون أرحام
المسلمات العفيفات المحصنات بطف الكلاب!!

ويرعمون ومن وراءهم من محرمين اكبار أنهم للسيد المسيح أثناع وأشباع
والسيد المسيح يصق عليهم ويعذبهم ويأذيهم.
"يا أولاد الأفاعى.."

"كيف تتكلمون بالصالحات وأنتم هجرة ١٩٩٩!!

إب إِد تتحدث عن رحمة الرسول ﷺ وتكرمه الإنسان فلا حق لك في أن
تقحم على الحديث أدنى ذكر لأولاد الأفاعى القتلة ولأقبي، الذين يركم سنهم
الأبوف .





فہرست



٧ مقدمة
١١ بين يدي الكتاب
١٩ الفصل الأول : بشر مثلكم
٣٣ الفصل الثاني : رجل كل العصور
٤٧ الفصل الثالث : البشريات بين يديه
٦٣ الفصل الرابع : الرجل الكامن في الطفل
٧٥ الفصل الخامس : الرسول الكامن في الرجل
٨٧ الفصل السادس : وجاء يوم الشروق
١٠٥ الفصل السابع : أبشر يهودتنا ؟
١١٧ الفصل الثامن : ولماذا هو بالذات ؟
١٢٣ الفصل التاسع : فلينهض الإنسان

كتب المؤلف

- ١- من هنا تبدأ
- ٢- مواطنون .. لا رعايا
- ٣- الديمقراطية، أبدا
- ٤- الدين للشعب
- ٥- هذا.. أو الطوفان
- ٦- لكى لا تخرثوا فى البحر
- ٧- لله والحرية. (ثلاثة أجزاء)
- ٨- معا على الطريق محمد والمسيح
- ٩- إنه الإنسان
- ١٠- أفكار فى القمة
- ١١- نحن البشر
- ١٢- إنسانيات محمد
- ١٣- الوصايا العشر
- ١٤- بين يدى عمر
- ١٥- فى البدء كان الكلمة
- ١٦- كما تحدث القرآن
- ١٧- وجاء أبو بكر
- ١٨- مع الضمير الإنسانى فى مسيره ومصيره
- ١٩- كما تحدث الرسول (مجلد)
- ٢٠- أزمة الحرية فى عالمنا
- ٢١- رجال حول الرسول (مجلد)
- ٢٢- فى رحاب على
- ٢٣- وداعا عثمان
- ٢٤- أبناء الرسول فى كربلاء
- ٢٥- معجزة الإسلام عمر بن عبد العزيز
- ٢٦- عشرة أيام فى حياة الرسول
- ٢٧- .. والموعود الله
- ٢٨- خلفاء الرسول (مجلد)
- ٢٩- الدولة فى الإسلام
- ٣٠- دفاع عن الديمقراطية
- ٣١- قصتى مع الحياة
- ٣٢- لو شهدت حوارهم لقلت
- ٣٣- الإسلام ينادى البشر
- ٣٤- إلى كلمة سواء
- ٣٥- قصتى مع التصوف

تطلب كتب المؤلف من دار المقطم للنشر والتوزيع